

الأم والطفل بخير

تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد



الأم والطفل بخير

مسرحية

تأليف: أوليضييه كياكياري

ترجمة: شادي سميع حمود

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة : دمشق ٢٠١٨م

OLVIER CHIACCHIARI
LA MÈRE ET L'ENFANT
SEPORTENT BIEN

الأم والطفل بخير: مسرحية / تأليف أوليفيه كياكياري؛ ترجمة شادي سميع حمود. -
دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨ م. - ١٠٤ ص؛ ٢٥ سم. -
(جائزة سامي الدروبي؛ ٣).

٣ - كياكياري

٢ - العنوان

١ - ٨٤٢ ك ي أ

٥ - السلسلة

٤ - حمود

مكتبة الأسد

مهيد

رجل وامرأة يتعانقان عناقاً شهوانياً وشغوفاً. طغت تأوّهات المرأة على تأوّهات الرجل تدريجياً لتتحول إلى صرخات ولادة، وهذه الأخيرة أخذت تتضاعف لتحلّ محلّها صرخات طفلٍ يأتي إلى العالم.

الشخصيات

الأب

الأم

الطبيب النفسي

الصديق

الصديقة

الجدة

الجددة (والدة الأم)

الجد (والد الأم)

الصوت

A

الأب : قبل مجيئه كان كل شيء على مايرام، دكتور.

الطبيب النفسي: هل أنت متأكد من ذلك؟

الأب : هل أستطيع التدخين؟

- ١٣ شهراً

الأب : (وهو يشعل السيجارة) لقب.

الأم : لا.

الأب : اسم، إذن؟

الأم : وتدعني بسلام؟

الأب : إن كذبت، لأذهب إلى الجحيم!

الأم : بياتريس.

الأب : رائع.

الأم : والآن انصرف.

الأب : سؤال أخير.

الأم : لقد أخلفت بوعدك.

الأب : وأنت؟ ماذا تفعلين في الحياة؟

الأم : ما الذي يجعلك تستسلم؟

الأب : أنا في قطاع الطاقة.

الأم : وأنا في قطاع الخدمات.

الأب : لا بدّ من هذا مثير للاهتمام.

الأم : بل أكثر من مثير للاهتمام ، إنه مُشوّق .

الأب : شغفي أنا، هو العالم. في أول فرصة، أتخلّى عن كل شيء وأقوم

برحلةٍ حول العالم.

الأم : كلّه؟

الأب : أنا مُتعطّشٌ للمغامرات، لو أنّك تعلمين!

الأم : اسمع... لدي رجلٌ أحبّه، حياةٌ يوميةٌ تسحرني، وعملٌ أنا شغوفة

به، إذن لا أريدك أن تتوهّم.

الأب : أتوهم؟ أنت من تتوهمين. أنا أرغب فقط في التعرف إليك أكثر.

الأم : حقاً؟

بعد ١٢ شهراً

الأب والأم يتعانقان بقوة.

B

من جهة، الأم وصديقتها ومن جهة أخرى، الأب والطبيب النفسي .

الأم : في ذلك الوقت، كنت أعتقد أنني مُغرمة، لكنني في الواقع كنت مُحطّئة تماماً. حتى إنني كنت أذهب إلى الطبيب النفسي .

الصديقة: أنت ؟

الأم : كنت أتناول حبوب «الديدراماكس».

الصديقة: «الديدراماكس»، امرأة مثلك؟

الأب : كانت فريدة، في السابق، جوهرية، معجزة، هبة حقيقية من السماء!

الطبيب النفسي: حسناً، سيد برتيل...

الأب : فيرتيل. بينجامين فيرتيل.

الطبيب النفسي: آه نعم. لا بأس. وماذا بشأن الباقي؟

الأب: أي باقٍ؟

الطبيب النفسي: عدا عن الجنس، ماذا كان مشتركاً بينكما؟

الأب : أوه... الرياضة، الطبيعة، العطل... أعني كل شيء.

- ١١ شهرًا

الأب والأم يتعانتان بقوة.

C

الأم : مقارنة مع من سبقه، كان جِدُّ جديدٍ، جِدُّ قويٍّ، جِدُّ بسيطٍ،
فوقعت في حبه.

الصديقة: أي شخص، سيفعل الشيء نفسه.

الأم : يجب علي أن أقول إنني عشت مع من سبقه ثلاث سنوات. وبعد
ذلك قطعنا العلاقة.

الصديقة: لا تخبريني عن ذلك. نحن منذ أربع سنوات.

الأم : كل شيء أصبح ثقيلًا جدًا، صعبًا جدًا، معقدًا جدًا.

الصديقة: لكن كيف تدبّرت أمورك؟ حبيبك السابق، الطبيب النفسي،
«الديدراماكس»، كيف تدبّرت أمورك، أخبريني؟

- ١٠ أشهر

الأم : أريد منك طفلًا.

الأب : لا نعرف بعضنا إلا منذ أقل من ثلاثة أشهر...

الأم : وماذا في ذلك؟

الأب : ماذا في ذلك...؟!

الأم : ألا تُحِبُّني؟

الأب : طبعاً أحبّك ...

الأم : ألا تريد أطفالاً؟

الأب : بالطبع أريد أطفالاً ...

الأم : إذن نحن الاثنان مدى الحياة! أرغب أن نبني معاً أنفهم؟

الأب : وطموحاتك المهنيّة؟

الأم : اليوم جميع النساء يعملن على الجبهتين.

الأب : فلنُعط أنفسنا بعض الوقت ...

الأم : أنت لديك الوقت، كل الرجال لديهم الوقت.

الأب : بياتريس ...

الأم : لكنني لم أعد في العشرين من العمر، ولديّ الحقّ في أن

أكون سعيدة.

الأب : طفل، هذا يغيّر الحياة.

الأم : كلا، لن يُغيّر شيئاً.

الأب : إنه يتطلّب تضحيات.

الأم : أحكام مسبقة، كلّ هذه أحكام مسبقة، أرجوك، حبيبي، أتوسّل

إليك، إن كنت تحبّني، أريد منك طفلاً، حتّى لو صغيراً، حتّى لو

جاء قبل أوّانه.

D

الطبيب النفسي: انتهى بك الأمر إلى الخضوع؟

الأب: لا على الإطلاق. في ذلك الوقت، لم أكن الرجل الخاضع الذي تراه اليوم.

الطبيب النفسي: في هذا الوقت، إذن، ألا تتصوّر نفسك تُنجب أطفالاً؟

الأب: لا في هذه اللحظة، ولا في أيّ لحظة أخرى، دكتور. لم أتصوّر يوماً أنني سأنجب أطفالاً، ولهذا بالضبط أنا هنا.

زمن.

الطبيب النفسي: كم صار عمره اليوم؟

الأب: ثلاثة أشهر. أشعر وكأن سنوات قد مرّت. منذ قرون لا أعيش كما في السابق.

الطبيب النفسي: ما الذي كان مختلفاً، بشكل جوهري في السابق؟

الأب: في السابق كنت قوياً. في السابق كنت محترماً. أما الآن فأنا أرتجف، أبكي في أول فرصة، ويديّ تنتشران، دكتور.

الطبيب النفسي: الأشهر الأولى صعبة على الجميع.

الأب: هنالك وميض من الرّغبة لعشرين سنة من المشقّة، نعم! من المستفيد من القذف، أسألك عن هذا؟!

الطبيب النفسي: حاول أن تعزل نفسك عن كلّ هذا. هذا لن يتوقف.

الأب : لكنني معزول، دكتور. وعزلتي تزيد كل يوم أكثر فأكثر. لا أنام منذ ثلاثة أشهر، منذ ثلاثة أشهر والأيام والليالي تتعاقب دون توقّف ...

الطبيب النفسي: لكن هذا الطّفّل، هل كنت تريده أم ماذا؟

- ٩ أشهر

الأم : أوه، حبيبي! حبيبي الرقيق الحنون الرائع!
يظهر الأب بمشقة.

الأم : كان أجمل عيد ميلاد لي في حياتي.

الأب : آه نعم، عيد ميلادك...

الأم : أصدقائنا لن ينسوه، وهم أيضاً.

الأب : آه نعم، أصدقائنا...

الأم : أتعلم أنني أحبك، أنت، تعلم أنني أعشقتك؟

الأب : لقد حذرتك، عندما احتفل، أنا، فأنا احتفل.

الأم : لو أخبروني عنه، لما صدقت.

الأب : تصدّقين ماذا؟

الأم : أوه، حبيبي!

الأب : أسبرين.

الأم : حُبِّي الرقيق الحنون الرائع!

الأب : هل تبقى أسبرين؟

الأم : ألا تريد أن أدللك قليلاً، أولاً؟

- ٨ أشهر

الأب : احزري!

الأم : هل سنخرج في عطلة نهاية الأسبوع؟

الأب : لقد حصلت على ميراث!

الأم : ممّن؟

الأب : كم، تقصدين! ورثت من أحد أخوة جدي الأسبق، لم أكن أعرفه
وهاهو يورثني جزءاً من ثروته. ليس مبلغاً لأصنع به المعجزات،
لكن يكفي لدفع الأمور إلى الأمام. رحلةٌ حول العالم، إنّها الآن،
لكلينا، يا بياتريس!

الأم : لكن... ماذا عن عملك؟

الأب : أستقيل.

الأم : وماذا عن عملي أنا؟

الأب : استقيلي، أنت أيضاً.

الأم : هذا العمل هو حياتي كلها، كما أنّني قاربت الحصول على العلاوة.

الأب : بياتريس! العالم يفتح لنا أبوابه، في النهاية لن نمنع أنفسنا من أن نكون سعداء؟ في صباح جميل لن نستيقظ، لن نكون قد استفدنا من شيء، وكل السعادة التي لم نعشها... سيعيشها آخرون بدلاً منا!

زمن.

الأم : حسنٌ.

الأب : حسنٌ؟

الأم : معك أذهب إلى أيّ مكان.

الأب : بياتريس، «بياتريسي»، أعشقتك!

الأم : من أين سنبدأ؟

الأب : الشمال، الجنوب؟

الأم : لا يهم، مادُمنا سنجوب العالم!

الأب : فلتكن لنا المغامرة اليومية والآفاق اللامتناهية! تحضّر أيها العالم الواسع، ها نحن ذا!

الأم : (تغيّر نبرة صوتها)، لكن كلّ هذا يبقى احتمالاً، أليس كذلك؟

الأب : احتمال؟

الأم : في حال لم ينجح الأمر؟

الأب : ما الذي لن ينجح؟

الأم : أنت محق. فلتتصرف كما لو لم يكن هناك شيء. هكذا أكثر تعقلاً.

E

الطبيب النفسي: ما الذي كنت تنتظره بالضبط من الحياة؟

الأب: كل شيء.

الطبيب النفسي: كل شيء؟

الأب: الفائدة، الاكتشاف، الاستمتاع... أقصد كل شيء.

الطبيب النفسي: وماذا بعد؟

الأب: بعد ماذا؟

الطبيب النفسي: بعدك؟

الأب: لست متأكدًا من أنني فهمت السؤال، دكتور.

الطبيب النفسي: هل حدث وتصوّرت العالم من بعدك، سيد فيرتيل؟

الأب: حسنًا... أعترف أنني لم أفكر يوماً في هذا.

- ٧ أشهر

الأم: احزر!

الأب: هل حصلتِ على عطلةٍ من دون راتب؟

الأم: أفضل من ذلك.

الأب: استقلتِ؟

الأم: أفضل بكثير.

الأب : هيا، حبيبتى، أخبريني!

الأم : أخيراً، نعم.

الأب : أخيراً ماذا؟

الأم : أخيراً نعم، أنا حامل!

زمن.

الأب : حامل؟

الأم : قمت باختبار أول، وكان إيجابياً، لم أخبرك بشيء حتى لا أعطيك آمالاً كاذبة، انتظرت وقمت باختبار ثانٍ، مرّة أخرى كان إيجابياً، لكنني لم أصدّق الأمر، فأخذت موعداً عند طبيبتى النسائية وهذه المرّة كان الخبرُ مؤكداً، لا مجال للشكّ: أنا حامل، بنجامين!

الأب : لكن...

الأم : أقول لك حامل!

الأب : لكن...

الأم : سأصبح أمّاً، ستُصبح أباً، سيكون لنا طفلنا، هل تُدرك هذا؟

زمن.

الأب : لكن متى؟

الأم : متى ماذا؟

الأب : لطالما أخذنا احتياطاتنا؟ أليس كذلك؟

F

الأم : من شدة سُكره مساء عيد ميلادي، كان عليّ أن أذكره أنّه هو من بادر بالأمر. كان عليّ أن أذكره ما أخبرني به كلمةً كلمةً. حرفياً: «أريدُ أن أقدم لك أجملَ هديّةٍ يُمكن لرجلٍ أن يقدّمها لامرأة». كان عليّ أن أذكره أنّه في اللّحظة الحاسمة، في لحظة ال... أخيراً، تأوّه: «عيد ميلاد سعيد!».

الصديقة : ونجح الأمر من المرّة الأولى؟

الطبيب النفسي: إنها ضربة حظّ، صدّقني.

الأب : ضربة حظّ؟

الطبيب النفسي: بعضهم يجرب لسنين.

الأب : لا تفتح الجرح ثانيةً، دكتور.

- ٦ أشهر

الجدّة، وحيدة، يبدو أنّها تخاطبُ أحداً ما.

الجدّة : أن أعيد حياتي، لا يُمكن أبداً. أنت الرجل الوحيد الذي عنى لي يوماً وسيعني لي يوماً إذن أفضل أن أعيش مع الذكّرى على ألاّ أعيش في الأكاذيب.

يصل الأب.

الأب : أمي؟

الأم : طفلي ؟

الأب : سأصبح أباً.

تنهار الجدة.

الأب : أمي أرجوك، أنا أيضاً صُدمت، لكن لعلّ الأمر ليس خطيراً إلى هذه الدرجة ؟

الجدة : ليس خطيراً؟ إنه أروع خبرٍ على الإطلاق. طفلي حبيبي. منذ وفاة والدك، لا شيء يحصل في حياتي. أتعرف، ليست زيارتك النادرة هي التي ستُغيّر شيئاً في الوضع. في الوقت الذي لا أنتظر فيه سوى الموت، تأتي لتخبرني بقدوم طفل ... متى سيتمّ إعلامه؟

الأب : إعلام من؟

الجدة : والدك.

الأب : أمي ...

الجدة : لولا أنه يعود لرؤيتي من وقت لآخر، لأحسست أنّي وحيدة أكثر ممّا أنا عليه. ليست زيارتك النادرة هي التي ستُغيّر شيئاً في الوضع.

الأب : مع أنّي آتي كلّ يوم ...

الجدة: أوه، لا أستطيع لوّمك. لديك أشياء أفضل لتفعلها من أن تلامي أرملة مسكينة من دون فائدة، حتّى لو كانت والدتك. لكن الآن ما دمت سأصبح جدة ... لم أكن لأجرؤ على تصديق الأمر إلى درجة أنّني بدأت أتساءل إن كان لديك مشكلة من هذه الناحية.

الأب : مشكلة؟

الجدة : والصّحة؟

الأب : كانت لديّ بعض الاضطرابات...

الجدة : لا، هل كلّ شيء طبيعيّ بالنسبة للصغير؟

الأب : أوه... نعم، في الواقع...

الجدة : والأم؟

الأب : لم لا يكون كلّ شيء طبيعيّاً؟

الجدة : هل أعرفها؟

الأب : أوه، حسناً...

الجدة : حتّى أنني لا أعرف والدة حفيدي المستقبل.

الأب : كلّ شيء في...

الجدة : حسناً، لا يمكنني لومك، هل تُفكران بالزّواج؟

الأب : الزّواج، تعرفين...

الجدة : ووالداها؟

الأب : لأكون صريحاً تماماً...

الجدة : حتّى أنني لا أعرف والدّي أم حفيدي المستقبل.

الأب : أردت فقط أن أعلن لك الخبر...

الجددة : لماذا؟

الأب : لأعرف ردّة فعلِكَ.

زمن.

الجددة : هل تخجّل بي؟

الأب : أمي...

الجددة : أوه، لا يمكنني لومك، وأكثر من ذلك أنا متقاعدّة، مستهلكة، تقريباً ميتة.

الأب : تلقيت الصّدمة، أنا أيضاً، اتركّي لي بعض الوقت...

الجددة : وقت؟ والدك أيضاً كان يطلبُ الوقت عندما لم يكنْ يجرؤُ على الرّفص.

الأب : أحتاج لآخذ نفساً، أن أعتاد، أن أعتاد الفكرة...

الجددة : لا، لا تصرّ. لكنك على الأقلّ ستنظّم للقاء عائليّ، أفضل أن أموت هنا كفيلٍ عجوزٍ على أن تخجّل بي. وكلّما كان باكراً كان أفضل.

- ٥ أشهر

الأم : والدتك امرأة رائعة.

الأب : شكراً.

الأم : لقد تلقّت الخبرَ بهدوء. بطريقة طبيعيّة. كما لو أنها كانت على علمٍ مسبق.

الأب : على علم! كان الهدفُ أن تُفاجئهم معاً، أليس كذلك؟ ووالدك،
أيضاً. أناسٌ رائعون.

الأم : شكراً.

الأب : لقد تلقوا الخبر بهدوء. بطريقة طبيعية. كما لو أنهم كانوا على
علم مسبقاً أيضاً.

الأم : لم أعتقد أنّ الأمور جيّدة لهذا الحدّ.

الأب : وأنا كذلك.

الأم : الجميع كانوا رائعين.

الأب : حتّى التلميحات الصّغيرة لم تنجح في إفساد الحفلة.

الأم : التلميحات؟

الأب : ألم تلاحظي؟ تلميحات والدتك. بخصوص أننا لسنا متزوّجين؟!!

الأم : ووالدتك أنت؟

الأب : ماذا بشأن، والدتي؟

الأم : تلميحاتها بخصوص طريقة طبخي؟

الأب : لم تكن أكثر سوءاً من والدك.

الأم : انتبه، لا أطيع أن يُقال كلاماً سيئاً عن والدي!

الأب : إذن لا؟

الأم : لا!

يُشعل سيجارة، تنتزعها من يده.

الأم : أنا حامل، أذكرك بهذا!

الأب : والدك الذي جعل السهرة باردة كمثلجاته.

الأم : المثلجات كل حياته.

الأب : سلسلة البرد الكبيرة، وكذا، وكذا!

الأم : لقد تطور في مجال المثلجات بجهد!

الأب : هكذا إذن!

الأم : نعم.

الأب : إذن سأضع في المرة القادمة قلنسوة صوفية وقفازاً.

- ٤ أشهر

الأب والأم يتعانقان وهما يتحادثان.

الأب : والدك رجل رائع.

الأم : ووالدتك أيضاً.

الأب : وليس من المفترض أن نعيش معهم .

الأم : إلا في الأعياد وعيد الميلاد المجيد.

الأب : وماذا أيضاً.

الأم : أوه نعم، ماذا بعد.

الأب : يُقال إنّ الحمل يقتل الحُبّ.

الأم : أكثر قوّة.

الأب : حامل أم لا، تبقين خنزيرة صغيرة جميلة.

الأم : أوه نعم، اشتمني.

الأب : ساقطة.

الأم : لا تمتنع نفسك، أهنيّ، اجعل منّي شيئك.

الأب : حسناً، لقد طلبت هذا أيتها ال...

الأم : مهلاً!

الأب : ماذا؟

الأم : إنه يتحرّك!

يفتر الأب : لا! أعتقدين أنّه سمعنا؟

الأم : إلمس، إلمس.

يضع الأب يده على بطن الأم.

زمن.

الأب : لا شيء.

الأم : انتظر، انتظر...

الأب : ها هو ذا!

الأم : هل أحسست؟

الأب : لقد تحرك! (متأثراً). إذن هذا أمر جدّي؟ سأصير أباً؟ لكنه...
أنا... سأصير أباً! أب!

G

الأب : لو كنت أعرف أنني سأعيش آخر علاقة جنسيّة لي، لكنت
التقطت صوراً.

الطبيب النفسي: بين الشهر الخامس والسادس، من المؤلف أن نشهد توقُّداً
مفاجئاً للرغبة الجنسيّة لدى الحامل.

الأب : كيف هذا ممكن، دكتور؟ كيف يستطعن الانتقال من الاتقاد
البركاني إلى الصحراء السيبيرية؟

الطبيب النفسي: أدركتَ واقع وجود طفل، ماذا بعد؟

الأب : الأشهر اللاحقة هي بالأحرى مُبهجة. الجميع يهتّك، كلّ يذهب في
تشجيعه، نصبحُ شخصاً مُعتبراً بين ليلةٍ وضُحاها. لا نعرف متى
تحدث المفاجآت. الطبيعة كاملة من هذا المنظور.

- ٣ أشهر

الصديق: يا لك من شخص بنجامين، كنت تُخفي لعبتك جيّداً!

الأب : شكراً.

الصديق: بنت أم صبيّ؟

الأب : أنا أريد أن أعرف، لكن بياتريس تفضّل المفاجآت، إذن ستكون مفاجأة.

الصديق: والاسم؟

الأب : أنا أريد التحدث بالأمر، لكن بياتريس تفضّل المفاجآت، إذن ستكون مفاجأة.

الصديق: أمر مجنون. إنه حقاً لأمر مجنون.

الأب : في البداية كان الوضع متأزماً، لكن الآن وجدنا التناغم. ومن ثمّ عندما أليس بطنها، ويتحرّك تحت أصابعي، لا تستطيع تحيّل التأثير الذي يصنعه...

الصديق: بكلّ الأحوال، إن كان الأمر جنونياً كما يُقال، أنت بصدد أن تعيش أجمل لحظات وجودك.

الأب : ولم «إن»؟

الصديق: «إن»؟

الأب : قلت «إن» كان الأمر جنونياً كما يُقال.

الصديق: لأنّ الجميع يقول إنه جنونيّ.

الأب : بالضبط، إن كان الجميع يقول هذا، فلا بدّ أنّه حقيقيّ؟

الصديق: بكلّ الأحوال، أتمنى أن يكون الوضع أفضل بالنسبة لتوماس.

الأب : توماس؟ ما الذي جرى له؟

الصديق: صبي. ألم تعرف؟

الأب : لا.

الصديق: تلتها مرحلة ما بعد الولادة.

الأب : مرحلة؟

الصديق: بعد الولادة، بدأت صوفي تكتب، طلبنا منها ألا ترتعب، لكنها بدأت تُحدِّث الجدار، تُغنِّي في الليل، وتحوّلت كآبة ما بعد الولادة إلى متلازمة مانشهاوزن.

الأب : ممّ؟

الصديق: في آخر الأخبار، حاولت صوفي خنق الطفل، غرّق توما سفي الكحول، اكتأب الجدّ والجدّة وانتقلت العائلة إلى المشفى.

الأب : ...

الصديق: آه، نسيْتُ ذكر أخت الزّوجة التي حاولت الانتحار. لكن لا بأس. يبدو أنه أمرٌ نادر. ثمّ مهّمها حدث، بنجامين، عدني بشيء واحد فقط : ابق كما أنت!

شهران

الأم : أنا بصدد الولادة في أقلّ من شهرين ولم نُحصّر بعد غرفته.

الأب : هل علينا القيام بهذا الآن؟

الأم : بنجامين... أنت تُغادر أكثر فأكثر باكراً، وتعود أكثر فأكثر متأخراً،
وأنا أ... خائفةٌ إلى حدٍّ كبير...

تنفجر بالبكاء، يقلق الأب على الفور.

الأب : تشعرين بالكآبة؟

الأم : خائفةٌ ألا نستقبله كما يستحقّ.

الأب : إن كنت تشعرين بالكآبة، يجبُ التحدث بالأمر، إياكِ والتقليل من
شأن ذلك، أتشعرين بالكآبة؟

الأم : أريدُ فقط أن نُحصِرَ غرفته.

الأب : حسناً، كل ما تريدين، ماذا عليّ أن أفعل؟

الأم : أنستطيع أن نبدأ بوضع قائمة؟

الأب : أسمعك.

الأم : أَلن تُسجِّل؟

الأب : لا داعي. أسمعك.

الأم : إذن، علينا أن نشترِيَ ... مهداً، عربةَ أطفال، فراشَ بذورِ الدّخن،
طاولةَ تغيير الحفاض، حاملَةَ الطفل، حوضَ استحمام، مصباحاً ليلياً،
مرطّبَ جوٍّ، سحّابةَ الحليب، زجاجات الحليب، مسخّن. زجاجات
الحليب، مصّاصات، غطاء الرّضيع، بعض البيجامات، بيّاضات،
خزانة للبيّاضات، حفاضات، سلّة مهملات للحفاضات، وأرغُب
بوضع ورق جدران في غرفته، ورق جدران بقلوبٍ صغيرة.

زمن.

الأب : أعلمُ أن هذا نابعٌ من إحساسٍ طيّب، لكن في الفترة الأولى،
أنستطيع الالتزام بما هو ضروريّ؟

الأم : هذا أقلّ من الضروريّ، بنجامين، إنّه الحد الأدنى.

الأب : أيشترى الجميع كلّ هذا؟

الأم : الجميع يشترى أكثرَ من هذا، كوننا لا نملك الإمكانيّات سنلتزمُ
بهذا. في ما بعد، طبعاً، سيلزمنا جهاز التقاط صوت الطفل، مقعد
الجلوس، سريرٌ بقضبان، سرير قابل للطيّ، مشاية الطفل، مقعدُ
أطفال للسيّارة، وسيّارة، كنت سأنسى أمر السيّارة.

الأب : سيّارة؟

الأم : كلّ العائلات لديها سيّارة، دون ذكرِ الشقّة. سنصبح قريباً في
ضيق، هنا.

الأب : لكن... من أين لنا بالمال؟

الأم : أنتَ الذي يطرحُ السّؤال؟

الأب : ألا تفكرين بإرثي؟

الأم : ماهي أفضلُ طريقةٍ نستخدمه بها؟

الأب : قلنا إنّنا سنحتفظ به لجولتنا حول العالم...

الأم : أيّة جولة حول العالم؟

شهر

الأب : ما رأيك بجولةٍ في الحيّ؟

الأم : ساقاي ثقيلتان جداً.

الأب : لم نخرج من المنزل منذُ عدّة أيام.

الأم : هيّا أخرج، أنت، إذا أردت، أنا سأبقى هنا، وحيدة...

تنفجر بالبكاء.

الأب : إنّها مجردُ فكرة، لكن لا تكتسبي، أرجوك، الغرفةُ جاهزة، ورقُ

الجدران في مكانه، السيّارة في الأسفل...

الأم : بنجامين...

الأب : سيكون الطفل الأسعد في العالم.

الأم : أتعذّني؟

الأب : أقسم لك.

الأم : وأنا؟ هل ستجعلني سعيدةً، أنا؟

الأب : أعدك وأقسم لك!

الأم : إذن لم تطلب يدي للزّواج لغاية الآن؟

زمن.

الأب : اعتقدتُ أنّنا اتّفقنا على هذا الموضوع.

الأم : اتفقنا؟

الأب : لن نتزوج فقط لأننا سنزق بطفل؟

الأم : «فقط» لأننا سنزق بطفل؟

الأب : لم تكن يوماً مسألة زواج، على كل حال.

الأم : هذا بالضبط ما ألومك عليه. كل أبوين يقسمان على الإخلاص الأبدى وأنا سأبدو كأم عازبة.

الأب : حبيبتى...

الأم : لا تنادني بعد الآن «حبيبتى».

الأب : يا بياتريس أحلامي...

الأم : سيعتقد الناس أنني أجبرتك.

الأب : ما الذي ستخيلينه!

الأم : سيعتقد الناس أنك لا تتحمل المسؤولية.

الأب : لكن ما الذي سوف...

الأم : آخ!

الأب : الانقباضات؟ أهي الانقباضات؟ أحضر السيارة؟

الأم : لا بأس...

الأب : لا يتطلب الأمر سوى تشغيلها.

الأم : لا بأس...

الأب : أستطيع الذهاب لتشغيل المحرك، إذا أردتِ، سأركن السيارة في الأسفل لن أطفئ المحرك وسأدع الأبواب مفتوحة، اتفقنا؟

الأم : توقّف عن التحرك هكذا، إنك تُصيبني بالدوار.

الأب : لكن، ألا يمكنني حقاً أن أجعل من نفسي مفيداً؟

الأم : لا، لا يمكنك.

الأب : حسناً.

الأم : كل شيء سيكون على ما يرام.

الأب : هل أنت متأكّدة؟

الأم : عملياً. معدّل الوفيات عند الولادة هو تسعة إلى ألف عند الأم وستة إلى ألف عند الطفل.

الأب مُرتعباً: لماذا تخبريني بهذا؟

الأم : لكن كُن مطمئناً، بالنسبة لك لن يغيّر هذا شيئاً، في أسوأ الأحوال لن تصبح أرملاً، ستبقى أعزباً.

H

الأب : دقائق بعد ذلك، أصبحت على وشك الولادة... إنذار خاطئ. تبعه اثنان آخران. انتهى بنا الأمر بتثبيت موعد.

الطبيب النفسي: لتحريض الولادة؟

الأب : لم يكن يُريد أن يأتي إلى العالم. من الذي سيلومّه؟

الطبيب النفسي: والولادة بحدّ ذاتها؟ هل جرى كلّ شيء على ما يرام؟

الأب: منذ ذلك اليوم، لم يُعدّ شيء يجري على ما يرام، دكتور. وعندما أقول
«لم يُعدّ شيء يجري على ما يرام»، فإنني أعرف ما أقوله.

تتُنُّ الأم وهي مُستلقية واضعة قناع الأوكسجين. وهي موصولة بكل أنواع
الآلات التي تُحدث ضجّة، تُشوِّش، تُطنن، تُومض...

الأب: تقول القابلة أنّه ليس هناك داعٍ للقلق، بدأ الأوسيتوسين يأخذ
مفعوله، العمل الأوّل جارٍ، الانقباضات طبيعيّة، القطّارة،
الأوكسجين، الآلات، كلّ هذا طبيعيّ، كما أنّه بالكاد انقضى خمس
عشرة ساعة على وجودنا هنا، هذا أيضاً طبيعيّ، طبيعيّ للغاية...

تتدمّر الأم، ينزع الأب عنها القناع.

الأب: هاه، ماذا، هل قلت شيئاً ما، حبيبتى، هل قلت شيئاً ما؟

الأم: وهي تُعاني: أجهز عليّ.

الطبيب النفسي: بعدَ عشرين ساعة من الانقباضات، ولم يبدأ عُنق الرّحم
في التّوسّع؟

الأب: لم يهتم بي أحد.

الطبيب النفسي: وهي؟

الأب: وهناك من يقولون إنّه أجمل يومٍ في حياتهم...

الطبيب النفسي: مما لا شكّ فيه أنّه أكثر إيلاماً لها؟

الأب : إن لم أكن أستطيع التحدُّث معك دون التفكير بها، إذن مع من يكون ذلك، دكتور، أنا أسألك!

الأم : في الساعة الخامسة والعشرين، بدأت الأمور تَسوءُ شيئاً فشيئاً. لم يعدَّ المخدَّر يُجدي نفعاً، عضلات الرحم مُتعبة، وفي صباح اليوم الثاني، عند تغيير الفريق الطُّبي الثالث...

الصديقة: هل توسَّع عُنق الرَّحِم؟

الأم : أظهر قلبُ الطَّفل علاماتُ ضَعف، ووجدت نفسي في غرفةِ العمليَّات.
الأب: لا مساعدة للآباء الشَّبَاب الذين هم في خطر، علينا أن نصوِّت لقانون كهذا.

الطبيب النفسي: هل أجري لك عملية قيصرية؟

الأب : أنا الذي لا أحتَمِل حتى سَحَبَ الدَّم.

الطبيب النفسي: هل تمكَّنتَ من الحضور؟

الأب: للأسف. بالمناسبة تمَّ إنعاشي.

صُراخ الطَّفل الذي يأتي إلى العالم.

الأم : وتمَّ اللِّقاء. أخيراً.

الأب : لرؤيته. ستصدقني إن أردت، لكن عندما وضعوه بين يدي...

الأم : ووضعه على قلبي...

الأب : كنَّا هناك...

الأم : ثلاثتنا...

الأب : وكان شيئاً لم يُخلَق من قبل...

الأم : وكان المغامرة البشريّة كانت قد بدأت.

الأب : كانت لحظة أصيلة من السعادة يا دكتور. تخيلتُ أنه منذ تلك اللحظة

سيدعونني أتعرّف إلى ذلك الطفل الذي جاء إلى حياتي. لكن منذ

عودتنا إلى المنزل، فهدمت أن الوضع سيكون مختلفاً. وكل ما سبق

وعانيت منه لم يكن إلا البداية.

الشهر الأول

المهد كالعرش في وسط المنصة.

الجدّة : ملاك!

الجدّة (والدة الأم): كأنه ملاك!

الجد (والد الأم): ابتعدوا دعوه يتنفّس!

يبقى الأب بعيداً، في يده طبق.

الأب : قطعة حلويات؟

الصديقة: هاهو لا يتجاوزُ عمره الثمانية أيام.

الصديق: غير معقول.

الأم : ثلاثة كيلوغرامات و ٧٠٠ غرام لـ ٥٢ سنتيمتراً.

الصديق: إنه حقاً جنون .

الجدة (والدة الأم) للجد (والد الأم): لديه عيناك يا عزيزي...

الجدة : وفمٌ زوجي المرحوم.

الأب : أريد أحدكم ...؟

الصديقة: إنه يتحرك.

الصديق: أوه نعم، إنه يتحرك!

الأب : لقد حَضَرْتُها بنفسِي.

الأم : يا طفلي ...

الصديق: هل من الطبيعي أن ينكمش؟

الصديقة: أن يُصبح أحمر؟

الجدة : أوه يا ربِّي، هل تَعْتَقِدُون أَنَّهُ التَّقَطُ فيروسيّاً، أو عدوى، أو أخطَر من ذلك.

الأم : ملاكي، ملاكي، ما الذي يحدث؟

كل الأنظار مُثَبَّتة. يُطلق الطفل سلسلة من الغازات.

الجدة (والدة الأم): كم هذا ظريف.

الصديق: غازات صغيرة، غازات صغيرة...

الصديقة: ألا يُعاني قليلاً، رغم ذلك؟

الجدة (والدة الأم): والأب، أين هو؟

الأب : إنه هنا.

الجدة : آه. لم نسمَعك تأتي.

الأب : لم أغادر مطلقاً.

الجدة (والدة الأم) للأم: وأنت حبيبتي، كيف تشعرين؟

الأم : مُتعبَةٌ قليلاً، لكن خلاف ذلك...

يقترَب الأب: أنا، في المقابل، يداي تتقشّران، وبين الأصابع، هنا،
وتحت الأظافر...

الصديق: حلويات، يا لها من فكرة جيّدة!

الكلّ يتناول الحلويات.

الجدة (والدة الأم): الآن والكلّ مُجتمع في هذه الظروف السعيدة، لا أريد أن
أكوّن الانطباع بأنني أتطفّل على شأنِ أبوين شابّين، لكن كيف
تتصوّران المستقبل؟

الأم : أبي !

يبتلع الصديق قطعة حلويات: أتساءل؟ ممّ هي مصنوعة هذه الحلويات؟

الأب : دقيق الشوفان والماء.

الصديقة: آه نعم. إنّها جافة.

الأم : منذ أن بدأت الرّضاعة، ونحن ننتبه لما نأكله، أليس كذلك يا عزيزي؟

الأب : أَلن تُنادِيني حبيبي بعد الآن؟

الصديقة: بعض السوائل للمساعدة على البلع؟

الجد (والد الأم): لا أريد أن أعطي الانطباع بأنني أُصرّ، بياتريس أخبرتني

أنتك في قطاع الطاقة، يا سيباستيان؟

الأب : بينجامين.

الجد (والد الأم): بينجامين، نعم، أيّ قسم تحديداً...؟

الجدّة (والدة الأم): والزّواج، بالمناسبة، أتفكّرون به، أيها الأولاد؟

الجدّة : هذا صحيح، يا طفلي، الآن وقد أصبحتَ أباً، عليك أن تتحمّل

مسؤوليّاتك، وهذا لآخر نفس في حياتك، أتمنى أنك تعي هذا؟

الأم : بالتأكيد هو يعي ذلك، أليس كذلك يا حبيبي؟

ظلام.

غاية مظلمة، للتعديل حسب الحاجة: يصرّخ الطفل، تنهض الأم تهدّئه

وتعود للنوم، يصرّخ الطفل، ينهض الأب مهدّئه ويعود للنوم، إلخ.

الشهر الثاني

الأم : برّقة: كُل يا ملاكي، تغدّي مِنّي، يجب أن تُصبح كبيراً وقوياً. أوه!

من تبوّل على أمّه اللطيفة؟

(بأمر، للخارج) منشفة! (لا إجابة. أقوى) أنا بحاجة لمنشفة!

الأب (من الخارج): أنا في الحمام!

الأم : مرّة أخرى!

الأب (من الخارج): كيف هذا، مرّة أخرى؟

الأم (برقة): لا تقلق، حبيبي، كُل... (بأمر، للخارج). هل ستُحضِر المنشفة
اليوم أم غداً؟

يأتي الأب ويُمَدُّ لها منشفة.

الأم : ليس الزرقاء، بل الخضراء.

الأب : في آخر مرّة أردتِ الزرقاء.

الأم : هذه المرّة أريد الخضراء، لكن بما أنّ الأمر معقّد سأستخدم هذه!

الأب : حسناً، إنّها السادسة صباحاً. جميعنا مُتعبون...

الأم : نحن؟ هل أنت من تنهض من خمس إلى ستّ مرّات لإرضاعه؟

الأب : لا أنهض لكنني أستيقظ في كلّ مرّة...

الأم : لا تنهض، نحن مُتفقان على هذا، انتهى النقاش.

زمن.

الأب : ما هذه الطريقة في التحدّث إليّ؟

الأم : لقد فعلت كل شيء بيننا السيّد يتماطل في الحمام.

الأب : كنتُ أتغوّط...

الأم : أتمنى ألا يكون الأمر وراثياً.

الأب : في النهاية لدي الحق في التَّغَوُّط...

الأم : لو لم تُحطِّك والدتك برعايتها بهذا القدر، لكنتِ مقداماً.

الأب : لو لم يُدَلِّلك والدك بهذا القدر، لكنتِ أقلَّ تعجرفاً.

الأم : حتى لو كنت أشبه أماً عزباء، إنه ابنك أنت أيضاً، عليك في النهاية أن تقبل بالوضع.

الأب : ما الذي تريدني أن أفعله؟ أن أرضعه بدلاً منك؟

الأم : تستطيع التظاهر بالاهتمام، مثلاً، هل تعرف فقط ما هو معدّل وفيات الموت المفاجئ للرضع؟

الأب : موتٌ مفاجئ؟

الأم : ٠,٠٥%، واحد في الألفين، بإمكانه أن يكون ابننا...

زمن. ينظر الأب للطفل، مدعوراً من هذه الفكرة.

الأب : لكن لم تحكين لي كل هذا؟

الأم : لأنني أخشى أن أخسره، أنا ، لأنني أموت قلقاً بينما السيد يشخر وهو سعيد.

الأب : كيف لي أن أشخر بينما أنا لم أنم منذ شهرين!

يشرع الطفل بالصراخ.

الأم : هكذا، انتهى الأمر، سيكون علينا استشارة طبيبٍ نفسيٍّ للأطفال!

الأب : ...

الأم برقة: ششش، حبيبي، اهدأ. إياك أن تعتقد أنها غلطتك.

يهدأ الطفل: تضعه الأم في المهد.

الأم : فلندعه ينام الآن، إنه بحاجة للنوم.

تَحْضُرُ الجدة وتتقدّم بسرعة نحو المهد.

الجدة : كيف حال طفلي، اليوم؟ يا للأسف، لقد نام!

الوالدان متفاجئان لهذا التطفّل.

الأم (بصوتٍ مُنخفِضٍ، للأب): هل أعطيتها نسخة عن المفتاح؟

الأب (بنفس الحالة): أخبرتني أنه فقط للحالات الطارئة.

الجدة : هل نام جيداً، هل أكل جيداً، هل تغطّو؟

الأب (بشيء من المدة): لديه الحق، هو...

الأم : كلّ شيء يجري بشكلٍ رائع، شكراً.

الجدة : جيّد.

الأب : إنها السادسة صباحاً، يا أمي.

الجدة : لقد أحسست بانقباضٍ في صدري، وحدي في سريري، فقلتُ في

نفسي: إذا متُّ دون أن أراه مرّةٍ أخيرة، أعتقد أنني سأموت للأبد.

(تفتن بالطفل). لكن قولي لي ألا يبدو متعباً قليلاً؟

الأب : وأنا، هل رأيتِ هيَّتي، أنا؟

الأم : حسناً، من الأفضل أن آخذه إلى غرفته .

الأب (يريد أن يجعل من نفسه مفيداً): أستطيع أن أفعل هذا، إن أردتِ؟

الجدة (تهم): لا دَعْ ذلك. أنا سأهتمُّ بهذا؟

ظلام.

غاية مظلمة.

الشهر الثالث

يصرُخ الطفل. يُحاول الأب تهدئته، سُدى.

الأب : ششش، يا طفلي، اهدأ، بابا هنا. أبوك هنا، أقول لك... ششش...

ششش... ششش! هل ستهدأ! غير معقول، هذا مستمرّ على مدى

ثلاثة أشهر، يجب أن يتوقّف! يا إلهي، لو كنتَ موجوداً، أسكيت هذا

المخلوق أو لن أكون مسؤولاً عن أفعالي.

الأم : ششش، يا طفلي، أمك هنا... (تدندن بصوت مُنخفض)، دودو، الطفل

دو، سينام الطفل بسرعة، دو، دو، الطفل دو، سينام الطفل قريباً...

عاد الطفل للنوم.

الأم : زجاجة حليب بودرة ويتغوّط على شكل رذاذ. في آخر مرّة غيرت له

كان متسخاً حتى ذراعيه.

(تنفقد الحفاض). لكن الوضع هنا سليم، إنّه نظيف. إنّها نهايةُ المغص.

الأب : لقد هدأ، هذا هو المهمّ.

الأم : المسكين الصّغير. لا يَحتمِلُ إلاّ حليب أمه.

زمن.

الأب : مادام نائماً الآن ونحن مستيقظون، لعلنا نستطيع أن...

الأم : بنجامين...

الأب : نحن الاثنان، مُغرمان، كما من قبل...

الأم : في كلّ مرّة يكون لديّ فيها دقيقتان تطرُح الموضوع مجدّداً.

الأب : بياتريس...

الأم : أرجوك...

الأب : ابذلي جهداً...

الأم : ليس الآن...

الأب : هيا...

الأم : أنا مُرهقة...

الأب : وأنا أيضاً مُرهق! إن لم أمارس الجنس في هذه اللحظة،

سأرتكب جريمة.

الأم : أخفض صوتك!

الأب (بصوت يكاد لا يسمع): سأرتكب جريمة، هل تسمعيني؟

الأم : لن تحُصل على شيءٍ بتهديدي.

الأب : حسناً: أنا بحاجة لممارسة الجنس، لو سمحت.

الأم : كم تستطيع أن تكون مبتذلاً!

الأب : أرجوك، أتوسل إليك، مجرد علاقة صغيرة، تقدّمين لي القليل وأنا أتلقّى الكثير.

الأم : كُن مُتفهِّماً!

الأب : أنا على هذه الحال منذ ستة أشهر.

الأم : هل تعدُّ الأيام؟

الأب : الأشهر. فقط الأشهر.

زمن.

الأم : ستة أشهر، هل أنت متأكّد؟

الأب : طيب، فلنحاول إيجاد أرضية تفاهم: ما رأيك أن تُدلليني قليلاً؟

الأم : آه، ما هذا القرف، إنك تُقرّزني!

الأب : لكن... في السابق، لم يكن يمضي يومان دون أن...

الأم : غداً، ربها.

الأب : في السابق لم تكوني تُؤجّلين أبداً للغد.

الأم : غداً، أعدك.

الأب : في السابق كنت تَفين بوعودك قبل حتى أن تقطعيها.

الأم : في السابق، في السابق، في السابق! نحن أبوان، الآن! كما أنني...
أشعر بأني قبيحة.

الأب : قبيحة؟

الأم : نعم . أشعر أنني ثقيلة، أشعر أنني سمينة، أشعر أنني قبيحة.

الأب : لا، لست قبيحة.

الأم : أنا مرهقة، بشرقي شاحبة وساقاي رخوتان.

الأب : أنا لم أجدك أبداً أكثر إثارةً منك الآن.

الأم : حقاً؟

الأب : إذن المكوث معك بهذا القرب دون أن أتمكن من لمسك، استنشاق رائحتك
دون تمكّني من تذوّقها، بياتريس، يا بياتريستي، سوف أجنّ...

الأم : حسناً.

الأب : أحقاً حسناً؟

الأم : فلنستلقِ.

الأب : هلليلولويا!

يُحضّر الجدان ويتقدّمان بسرعة نحو المهد.

الجد (والد الأم): كيف حال طفلينا، اليوم؟

الجدّة (والدة الأم): يا للأسف، إنّه نائم!

الوالدان متفاجئان بهذا التطفّل.

الأب (بصوت منخفض للأم): لا تقولي لي أنك أعطيتهم...

الأم بنفس الحالة: فقط للحالات الطارئة، هم كذلك.

الجدة (والدة الأم): هل نام جيداً؟

الجد (والد الأم): هل قام بـ...

الأم: كل شيء يسير بشكل رائع، شكراً.

الجدة (والدة الأم) للجد (والد الأم) (بشكل مسموع): هل تغوّط؟

الأب: العاشرة ليلاً.

الجدة (والدة الأم): وأنت عزيزي، كيف حالك؟

يقترّب الأب: إنها العاشرة ليلاً...

الجدة (والدة الأم): آه، فالتين!

الأب: بنجامين.

الجدة (والدة الأم): بينجامين، جئت في الوقت المناسب.

الأب: تُسعدنا زيارتكما لكن...

الجد (والد الأم): لكن؟

الأم: كنت سأخلد للنوم.

الجدة (والدة الأم): طبعاً، حبيبتي، تصرّ في كأنك في بيتك.

الأب: وأنا كذلك كنت سأخلد للنوم، في الواقع، كان الجميع

سيخلد للنوم.

الجد (والد الأم): دون أن أبدوَ وكأنني أغير مشاريعك. بنجامين، أرغب في التحدّث إليك.

الأب : الآن؟

الأم : تصرّفا كأنكما في بيتكما ، إذن تصبحان على خير.

الأب يشاهد الأم وهي تغادر...

الجد (والد الأم): أتعلم، بين، هل يمكنني مناداتك بين؟ حتّى البارحة، أنت وأنا، كنّا نتبادل الحديث دون أن نتواصل، أنت وأنا، كنا نتحدّث عن المطر والطّقس الجميل، لكن اليوم، بوجود الطفل...

الجدّة (والدة الأم): الطفل الذي لم يطلب شيئاً لكنّه ينتظر كلّ شيء.

الجد (والد الأم): لوييز؟

الجدّة (والدة الأم): رودولف؟

الجد (والد الأم): هل أستطيع إنهاء حديثي؟

الجدّة (والدة الأم): عذراً.

الجد (والد الأم): إذن كنت أقول، بوجود الطفل، ابن ابنتي، حفيدي، خلفنا، من المستحبّ أن نلعب لعبةً صادقة، وأن ننطلق من قاعدةٍ صلبة. أليس من أجله فقط أن نضمّن إطاراً مثالياً ومحفّزاً، ألسنا متفقين؟

الأب : ...

الجدة (والدة الأم): أترى، أخبرتك أنه سيوافق.

الجد (والد الأم): إذن هذا هو، سأكلّمك وكأنك ابني الحقيقيّ: لا أحبُّك.
لكنني لا أكرهك أيضاً.

الجدة (والدة الأم): إذا اختارتك ابنتنا، هذا لأنّ لديها أسبابها.

الجد (والد الأم): لهذا قرّرت أن أساعدك.

الجدة (والدة الأم): بالرّغم من أنّكما لستما متزوّجين بعد.

الجد (والد الأم): أنا نفسي كنت ربّ أسرة، ولم يكن هذا سهلاً دائماً، لكنني
تحملت المسؤولية. صنعت نفسي بنفسي بقوة يديّ.
وما سأقوم به تجاهك لكنت ممتناً لو قام به أحد
ما تجاهي.

الجدة (والدة الأم): عزيزي، والدي المسكين لم تكن لديه الإمكانيّات...

الجد (والد الأم): لا بأس، لا فائدة من الخوض في الماضي، خلفنا بحاجة
لمستقبل. بين! أنت تُحبُّ حفيدنا، أليس كذلك؟ تتمنى
أن تقدّم له الأفضل؟

الأب : ...

الجد (والد الأم): إذن سأتكلم مباشرة: أقترح عليك أن تنضم
لشركة العائلة.

الجدّة (والدة الأم): قبل أن ينضم إليها الطفل بدوره: عندما لن يعود طفلاً، طبعاً.

الجد (والد الأم): ما أثر ذلك عليك؟

زمن.

الأب: لكن أنا... لديّ عمل...

الجد (والد الأم): أنا أكلمك عن مسيرة مهنيّة.

الجدّة (والدة الأم): عليك التفكير على المدى الطويل، من الآن فصاعداً.

الجد (والد الأم): التّجميد، إنه مجال مضمون!

الجدّة (والدة الأم): مستقبل مضمون، أمان مطلق.

الجد (والد الأم): إذن؟ اتفقنا؟

الأب: حسناً...

الجد (والد الأم) (مصافحاً يديه): اتفقنا!

الجدّة (والدة الأم): عيناى ممتلئتان بالدموع.

الجد (والد الأم): كما يُقال، لا تدع الحماسة تأخذك: ستبتدى كمنفَّذٍ عاديّ.

لكن إن أثبتت نفسك، سوف أجعلك تذهب إلى أبعد حدٍّ ممكن.

الأب: طيب، لو تسمحان الآن، سوف أخلد للنّوم...

تحضر الجدة.

الجدة (والدة الأم): كيف حال طفلي، هل نام جيّداً، هل أكل جيّداً، هل تغوّط؟

ظلام.

غابة ليلية.

ضوء.

غابة نهاريّة، للتعديل حسب الحاجة: يعمل الأب دون توقّف بينما تهتمّ الأم بطفلها. الوتيرة جنونيّة من هنا وهناك.

الأب: هأنذا وصلتُ اليوم إلى هذا. نهراً أنشط سلسلة التبريد الكبيرة لحساب حماي، ليلاً أحترقُ رغبةً بيننا ابني يمُصُّ نهدِي زوجتي، وبقية الوقت يدخلون منزلي وكأنّه ماخور.

الطبيب النفسي: ماذا تنتظر منّي، بالضبط؟

الأب: أن تساعدني على إيجاد حياتي السابقة.

الطبيب النفسي: ما يلزمك شفيح.

الأب: والأدوية؟ لا بد من وجود أدوية لحالتي؟

الطبيب النفسي: هذه ضدّ مبادئ.

الأم: هأنذا. وصلت اليوم إلى هذا. نهراً أتظاهر أنّي قويّة لأطمئن الجميع، ليلاً أبتلعُ قلقي حتّى لا أقلق أحداً، وبقية الوقت أَدفع عني محاولات رجلٍ يرفض أن يكون أباً.

الصديقة: ماذا تنتظرين مني، بالضبط؟

الأم : قولي لي ماذا عليّ أن أفعل؟

الصديقة: كيف لي أن أعرف؟

الأم : أنتِ تعيشين مع صديقهِ المقرب.

الصديقة: لدينا مشاكلنا، نحن أيضاً.

الأم : نعم لكن أنا لديّ طفل.

الأب : الآن هي لم تعد ترغّبني. لم تعد تحترمني. لقد أصبحت عديم

جدوى، سخيفاً غير نافع.

الطبيب النفسي: إنّها بحاجة إليك.

الأب : منذ أن وُلِد، لم تعد بحاجة لأحد.

الطبيب النفسي: لا زالت هشة.

الأب : أوه لا، لقد كانت هشة، في السابق. الآن هي قويّة، قويّة مثل قائد

حرب. كلّما تصبح أقوى، أضعفُ أنا، وكلّما ضعفتُ أنا، أصبحت

هي قويّة.

الطبيب النفسي: هل تحدّثت معها بالأمر؟

الأب : منذ أن وُلِد، لم نعد نتحدّث عن شيء.

الطبيب النفسي: وإن أخبرتها بما تشعر به؟

الأب : أي أشعرُ أنّي مخدوعٌ، مهانٌ ومخصّي.

الطبيب النفسي: أخبرها أنك تُحبُّها. أنك بحاجة لها. وللصغير.

الأب: لا، غير صحيح، أريد فقط أن أستعيد حياتي السابقة، حياتي السابقة.

الطبيب النفسي: حسناً، فلتسقط المبادئ. ستأخذ مهدياً قبل النوم. لكن حبةً

واحدة. احرص أن تستريح. سيد فيرتيل. ودع قلبك يعبر

عن نفسه.

الشهر الرابع

الأم: تعال شاهد، تعال شاهد!

ينحني الأب فوق طرف المهدي.

الأم (للملائكة): جعلته ينام على ظهره. والآن هو على بطنه.

الأب: هل استدار وحده؟

لأول مرة، الأب والأم يتأملان طفلها، معاً.

الأم: أليس ظريفاً في بيجامته؟

الأب: من يصدّق أنه سيصبح رجلاً.

الأم: لا أصدّق، أنا أيضاً.

زمن.

الأب: بياتريس؟

الأم: بنجامين؟

الأب : في الآونة الأخيرة، ربّما لم أكنُ بشكلٍ كافٍ...

الأم : لا، أنا من كنت كثيرة...

الأب : التعب، التوتّر...

الأم : يجعلنا نقول أشياء...

الأب : لكنني أريدك أن تعلمي أنني... أحبك.

الأم : بنجامين! معاً لبقية العمر!

يتعانقان.

الأب : لا بُدَّ أن نجد بعضنا مجدداً.

الأم : أنت محقّ.

الأب : فلنجد الوقت لنفسنا، فلنستمع مجدداً، فلنلتقِ بأصدقائنا مجدداً.

الأم : أنت محقّ تماماً.

الأب : وإن سجّلناه في روضة؟

الأم : ...

الأب : مرّتان أو ثلاث في الأسبوع، سيساعدنا لنستعيدَ علاقتنا بالعالم الخارجي؟

الأم : ليس إلا في شهره الرابع؟

الأب : حضانة، إذن؟

الأم : لكنه يشعرُ بكل شيء.

الأب : مرّبة؟

الأم : ولم لا أليست المساعدة الاجتماعية أفضل، ما دمت تذكر الأمر؟

الأب : عطلة الأمومة لن تدوم إلى الأبد.

الأم : هذا الطفل بحاجة لأمه.

الأب : وأنا بحاجة لزوجتي.

الأم : التي لم تصبح زوجتك بعد.

الأب : أنا أ...

الأم : أنا، أنا، أنا! تستطيع أن تلتفت لشيء غير نفسك؟

الأب : وأنت أن تنصّر في عن نفسك؟

يصرخ الطفل.

الأم : ها هو ذا، هل أنت سعيد؟

الأب مستاءً: هل هي غلطتي!

الأم : ششش، أمك هنا...

الأب : وأبوك، أليس هنا؟

الأم : هل أنت غيران؟

الأب : من هذا؟

الأم : ثوبالدي، يا ثوبالدي، إياك أن تستمع إليه...

الأب : كل هذا لأنني ضعفتُ وأخبرْتُك أنني أحبُّك.

الأم : بدلاً من أن تقول ذلك من الأحسن أن تُثبته.

الأب : بقطعٍ أوردتني؟ أن أحرِق نفسي؟

الأم : أن تعترف أكثر بما أفعله. هل تعتقد أن البقاء طيلة النهار في المنزل

متحوّلةً إلى بقرةٍ حلوبٍ أمرٌ مسلٌّ؟ ألا يكون لي سوى التعب

والقلق؟ في اللحظة نفسها التي يتفضّل فيها السيّد لتقديم شيءٍ منه،

عليّ أن أنحني له؟ أن أرتمي تحت قدميه؟

الأب : «دع قلبك يتحدث»، ما الذي تقوله! على طبيبي النفسي أن

يسمّع هذا!

الأم : طبيبك النفسي؟

الأب : أذهب إلى طبيبٍ نفسيّ، نعم، هل يُفاجئك الأمر؟

الأم : هذا العالم مقلوب!

الشهر الخامس

الصديقة: غير معقول كم كبر منذ آخر مرة.

الصددي: هل من الطبيعي أن يرغبي؟

الأم : أسنانه.

الأب : تنبت أسنانه.

الأم : لكن عدا عن ذلك هو طفل سهل، أليس كذلك حبيبي؟

الأب : لا شيء غير السعادة!

يقبلان بعضهما.

الأم : وأنتما؟

الصديقة: نحن؟

الأب : ألا تفكران بالأمر؟

الصديق: أوه، نحن ...

الصديقة: نريد بعد أن نستمتع بالحياة.

الأم : تستمتعون؟

الأب : ما هذه الفكرة ! ما الذي تتحدثين عنه؟

الصديق: أن نخرج، أن نساfer، أن نلهو...

الصديقة: أي أن نعيش!

الأم : أن يكون لديك طفل لن يمنعك من أي شيء.

الأب : بالعكس تماماً.

الأم : إنه دافع رائع.

الأب: أنا أيضاً كانت لدي الكثير من الأحكام المسبقة. كنت أعتقد أنه

يتطلب التأقلم، تغيير الحياة، نسيان الأحلام... لكن هذا كله إلا

أحكام مسبقة. في الواقع، الشيء الأصعب عندما يكون لديك طفل،

هو أن تقلع عن التدخين.

الأم : ولكن أحياناً في حال حدوث منغصات صغيرة، ما عليك إلا أن تنظر إليه لتنسى كل شيء. إنه دمن الذي يجري في عروقه. تبدأ حياته، وتمتد حياتنا. هل هنالك ما هو أجمل من هذا؟

الأب : لا، حقاً، أن تصبح أباً، هي تجربة فريدة. خاصة بالنسبة لرجل. الصديقة: أنا لست متأكدة أنني أريد التضحية بكل شيء، أنا. أن أشطب طموحاتي المهنية، أن أتوقف عن العمل، مثل بياتريس.

الأب (متفاجئاً): توقّفوا؟

الأم : لا، لم أقل إنني أريد أن أتوقف، بل قلت إنني أتصور أنني سأتوقف. سنة أو سنتين. لكي أعني بالصغير.

الأب : لكن عملك، بياتريس، إنه كل حياتك...

الأم : كل حياتي، كل حياتي...

الصديقة: بما أننا نتحدث عن الحياة كلها، لدينا خبر نعلمكما به.

الصديق: ستتزوج.

الأم : تتزوجان؟

الصديقة: منذ زمن طويل ونحن نتحدث بالأمر، هذه المرة سننتقل للفعل، أليس كذلك حبيبي؟

الصديق: في السراء والضراء!

يقبلان بعضهما.

الأب : حسناً... مباركٌ لكما.

الأم : مبارك لكما، حقاً.

الصديقة: وأنتما؟

الأب : نحن؟

الصديق: ألا تفكران بالأمر؟

الأم : لا. أعترف أننا لا نفكر به.

k

الأب : زهورات، عصير طماطم، ويسكي من دون كحول؟

الصديق: مع القليل من ماء جافيل.

الأب : مشكلات؟

الصديق: هل تكتم الأمر؟

الأب : هل هو خطير إلى هذه الدرجة؟

الصديق: إننا نحاول منذ سنوات.

الأب : تحاولان؟

الصديق: طفل. نحاول أن ننجب منذ سنوات.

الأب : ...

الصديق: قمنا بكلّ الفحوصات الممكنة في أكثر المراكز شهرةً ودائماً يردّد

المختصّون نفسَ هذه الإجابة الوحيدة نفسها: «كلّ شيء طبيعي».

الأب : «كل شيء طبيعي»؟

الصديق: غير معقول. إنه حقاً غير معقول. إنه مستمر منذ سنوات. إذن نحن نتألم منذ سنوات، نبادل الاتهام بشكل غير مباشر. إننا نموت بسبب هذا، يا بنجامين. إننا نموت لعدم قدرتنا.

الأم : لماذا لم تُحدثيني بالأمر من قبل؟

الصديقة: لم أكن أريد إزعاجك. أن أمس بسعادتك.

الأم : وإلى ما آلت إليه الأمور؟

الصديقة: كل في غرفة منفردة.

الأم : أنتما كذلك؟

الصديقة: بنجامين وأنت؟

الأم : أنام جيداً من دونه.

الصديقة: ممارسة الجنس دون هدف إنجاب طفل، أمر لا معنى له.

الصديقة: عندما يكون لدينا طفل، هو أيضاً أمر لا معنى له.

الأب : وأنت، هل لديك رغبة في هذا؟ أعني، رغبة حقيقية؟

الصديق: ما علينا إلا النظر إليكما لنفهم أنها أجمل مغامرة بالإمكان أن تحدث. لكنني أستطيع الانتظار.

الأب : لو كان كل شيء طبيعياً، لماذا عليك الانتظار؟

الصديق: لا نفوت أيّ موعد إباضة، آكل البيض النيّ ونمارس الجنس في ساعةٍ محدّدة.

الأب: إذن يجب أن ينجح الأمر، لأبُدّ أن ينجح، لأنني أرغبُ فعلاً أن يحصل لك هذا، أنت أيضاً.

الصديق: أنت لطيف، بنجامين.

الأب: أرغبُ حقّاً أن نتشارك كلّ هذا معاً.

الأم: ستنجحون في ذلك، ما هي إلاّ مسألة وقت.

الصديقة: نتمنى ذلك. لأنّ العيش كثنائي دون هدف إنجاب طفل، أمر لا معنى له.

الأم: عندما يكون لدينا طفل، هو أيضاً أمرٌ لم يعد له معنى حقّاً.

الصديقة: هل أخبرتك أنّي أذهب للطبيب النفسيّ؟ أنا آخذ «الديدراماكس».

الأم: مسكينة، يا مسكينة. وهذا الزّواج، إذن؟

الصديقة: على أمل أن تستجيب الطبيعة. وهناك أهلنا. أنت تعرفين الوضع. علينا أن نقدّم لهم شيئاً ما.

الأم: لو تخيلت أنّك تعيشين في تعاسة كهذه، ما كان عليّ أن أثقل عليك بوضعي.

الصديقة: أنت محظوظة بإيجادك بنجامين.

الأم: أنا كنت أتهمه بكلّ نقائص العالم.

الصديقة: نجح في منحك طفلاً.

الأم : حتّى من دون أن يدرك الأمر.

الصديقة: أنت تتحدّثين عن معجزة.

الأم : لم أنظر أبداً إلى المشكلة من هذه الزاوية.

ينحني الصديق على المهد: لكن كفى ذرفاً للدموع على مصيري. لديك طفل رائع.

الأب : مع الأسنان سيصبح أروع.

الصديق: هبة حقيقية من السماء.

الأب : لو علمت أن للسماء يد...

الصديق: الغمّازة، هذه من والدته؟

الأب : الغمّازة؟

الصديق: على الخدّ اليمين.

الأب : ترى... لو لم تكن من أهلي. أو من أهل والدته. لاحظت الأمر.

الصديق: حسناً، هذا النوع من الإرث، من الممكن أن ينتقل إلى أجيال بعيدة.

الأب : أعتقد ذلك؟

الصديق: لستُ خبيراً في علم الوراثة، لكن هل تجد تفسيراً آخر؟

ينظر الأب إلى الطفل، يغمره شكّ مخيف.

الشهر السادس

الأب والأم يتنزّهان ومعهما عربة الأطفال.

الأم : في السابق لم أكن أحبُّ أيام الأحد، لكن الآن لا أستطيع الاستغناء عنها أبداً، وأنت أأست كذلك؟

دونما إجابة.

الأم : هل تحقد عليّ؟ لقد أهملتُك، أنا أعني هذا، لكن الآن بعد أن انتهيت من الإرضاع، أريد أن نعوض عن الوقت الضائع. وأن تعود للنوم في الغرفة.

دونما إجابة.

الأم : هيا، ماذا، لا تغضب، أنا جدُّ سعيدة أنّك والد طفلي.

الأب : طفلك؟

الأم : سعيدة وفخورة، نعم.

الأب : أنت فخورة أنّي والد طفلك، أم أنّك فخورة أنّ طفلك هو أيضاً طفلي؟

الأم : ماذا؟

الأب : لو كان طفل رجل آخر، ألن تكوني فخورة هكذا، أهذا هو؟

الأم : لماذا تقول هذا؟

الأب : لو كان طفل رجل عابر، معروف لكن متملص، هل ستكونين أقل فخراً من لو أنه أنا، عديم جدوى لكن متوفر، أليس كذلك؟

الأم : بنجامين...

الأب : إذن تراهنين أكثر على أبي مزيفٍ لكن حاضر بدلاً من أبي حقيقيٍ
لكن غائب، هل الأمر كذلك بالفعل؟

الأم : أنا التي فكّرت أن أبهجك...

الأب : أنني مشيت كل هذا الوقت!

الأم : أنا التي كنت أريد ...

الأب : أنني رافقتك خلال الحمل!

الأم : أنا التي...

الأب : أنني اعترفت به، أنني أوشكت على الزواج بك، وأنه وصل بي الأمر إلى
درجة أن أجد جسمي وروحي لأتحمل مسؤولياتي.

الأم : أخفض صوتك، الناس تنظر لنا...

الأب : كفى همساً، على العالم أن يعلم! أنا، بنجامين فيرتيل، لستُ والد
ذلك الذي يدعون أنه ابني! حاولت الأم هنا أن تحمّلني حملها غير
الشرعي بهدف وحيد وهو الحفاظ على المظاهر الاجتماعية! كان
يلزمها رجل من القش ليحلّ محلّ الباذر الشبح الذي جعلها تحمّل
من دون أن يتحمّل مسؤولية الباقي! لكن الحقيقة تسطع! إذن إن
كان هناك ذكرٌ بحاجة لذرية، فالمكان خال!

تنهار الأم.

الأم : أوه يا إلهي، يا إلهي...

الطبيب النفسي: هذه المرّة أنت تطلب المستحيل، سيد فيرتيل.

الأب: هذا يشرح كلّ شيء، دكتور: هستيريّة الطفل، برودة الأم، عجزني التّام في أن أشعر أنّني معنيّ...

الطبيب النفسي: هل يناسبك هذا أكثر؟

الأب: الشيء الوحيد الذي يناسبني، في هذه اللحظة، هو أن أتفطّن.

الطبيب النفسي: إذن بالرّغم من كلّ شيء سيحوّل هراؤك إلى حقيقة، أليس هذا طفلك بالرغم من كلّ شيء، هل تستطيع التّخلي عن كلّ شيء؟ حتى دون أن أشرح لك؟

الأب: المشكلة ليست هنا.

الطبيب النفسي: أين هي، المشكلة؟

الأب: من هو الأب؟ هذه المشكلة.

الطبيب النفسي: سيد فيرتيل...

الأب: من هو الأب، دكتور؟

الطبيب النفسي: أمام هكذا عناد، لا أرى إلّا حلاً واحداً.

الأب: الانتحار؟

الطبيب النفسي: الفحص الجيني.

الأب : الجيني؟ هل يُعتمد عليه؟

الطبيب النفسي: لا جدال فيه .

الأب : كم سيأخذ من الوقت ؟

الطبيب النفسي: من ستة إلى ثمانية أسابيع.

الأب : ستة إلى ثمانية أسابيع؟ لن تتحمّل أعصابي أبداً، نتيجة حاسمة

كتلك، هل تتخيّل ذلك؟ إن أتّضح من الفحص أن... أنّي الأب،

بعد ما قلته للأب، لكن هل تتخيّل ذلك؟

الطبيب النفسي: جيّد جداً، وُضعت المبادئ ليتمّ تغييرها. إضافة

لـ«سومنورولاكس» عند النّوم، سوف تأخذ «نوروييمول» عند

الاستيقاظ. بهذا سوف تقضي على الشكّ. الآن احرّص على المواجهة.

سيتهي كلّ شيء على ما يرام.

الشهر السابع

الأب بحدائه الرياضي الصغير: بياتريس؟ هل أنتِ هنا، حبيبتي؟ هذا أنا،

بينجامين، تعرفين، والد الطفل...

الجدّة : لقد تأخرت. كُنّا قد بدأنا نتساءل إن لم يحدث لك مكروه ما.

يرى الأب أنّ الأجداد يشكّلون حاجزاً أمام المهّد.

الأب : ماذا تفعلون هنا؟

الجد (والد الأم): ما تعجز عن فعله أنت.

الجدّة (والدة الأم): نحن نَحْمِي الطفل.

الجدّة (والدة الأم): والأم.

الأب: لقد أتيت من أجل...

الجد (والد الأم): لا تُريد رؤيتك.

الجدّة (والدة الأم): على الأقلّ ليس الآن.

الأب: لكنني أتيتُ من أجل...

الجدّة: ألا تحجّل من نفسك؟ ألسنّ تموت خجلاً؟

الأب: ...

الجد (والد الأم): أن تتّهمها بخيانة مماثلة.

الجدّة (والد الأم): ابنتنا...

الجدّة: والدة حفيدي.

الجد (والد الأم): أنا الذي عاملتك كابن حقيقيّ لي.

الجدّة (والد الأم): لكن لستما متزوّجين، شكراً للرب.

الأب: لقد مررت بمرحلة خواء، هذا صحيح، لكنني جئتُ أقدم اعتذاري.

الجد (والد الأم): لا تريد رؤيتك.

الجدّة (والدة الأم): ليس الآن.

الجد (والد الأم): يبدو هذا واضحاً.

الأب : وابني؟

الجد (والد الأم): أصيبَ بالشرى.

الجدّة (والدة الأم): طيب الأطفال متأكد.

الجدّة : نتمنى ألاّ يتحول الأمر إلى قُلاع.

الأب : أمي...

الجدّة : لا تلمّسني. إن كنتُ سأموت غدًا، فإنّني سأحملُ معي أسوأ ذكري
لأم أصبحت جدّة بالإمكان أن تحملها من ابن لم يعرف كيف
يصبح رجلاً.

الأب : أنتم مُحقّقون في لومي، ألف مرّة مُحقّقون، لكن أعدكم أنّه حالما أكون
معها وحدي سأعرف كيف أجعلها يسامحاني.

الجد (والد الأم): لقد طلبت منّا أن نستقر هنا.

الجدّة (والدة الأم): تخشى أنّها لن تتمكن بعد الآن من تحمّل مسؤوليّة
دورها كأم.

الجدّة : بسببك.

الأب : تستقرّان؟ لكن...

الجد (والد الأم): لا يوجد لكن! ابتهج أنّه لا زال لديك مأوى. لو لم تمنعني
ابنتي من ذلك، لركلتك على مؤخرتك.

M

الأب : عليك أن تأخذني من هنا!

الصديق: وضعك سيء.

الأب : لقد استقرّ في بيتي الوحش ذو الثلاثة رؤوس!

الصديق: وضعك سيء جداً.

الأب : لقد انتقل نومي من غرفة النوم إلى الصالون ومن الصالون إلى

الحمام. أنام في حوض الاستحمام، حوض الاستحمام!

الصديق: وجودك في منزلي سيكون له تأثير قنبلة.

الأب : أنا نادم لما جرى لك، لكن لا ذنب لي في ذلك، أنا.

الصديق: ربّما. لكنك تعرف النساء: عندما يكنّ تعيسات، يلزمهن مذنباً ما.

الأب : دعني أخبرها أنني كذبت، أنني كذبت منذ البداية: أن الطفل ليس

شيئاً مُحمد عليه، إنه الشيطان بشخصه الذي حلّ عندنا بهيئة

عفريت، إبليس مغلف بحفاض.

الصديق: لقد أجهضت.

الأب : ماذا؟

الصديق: الأسبوع الماضي، أجهضت.

الأب : ...

الصديق: هذه المرّة صدّقنا الأمر. كان الأمر مُنجزاً. تحدّث الطبيب عن

جينين. لكن أنا أعلم أنه كان طفلاً، طفلنا.

زمن.

الأب : ماذا يُمكنني أن أقول؟

الصديق: لا شيء. لا يوجد شيء لتقوله. أحب طفلك كما كنت سأحبُّ طفلي.

زمن.

الأب : وإن لم يكن مني؟

الصديق: اقبل الشك.

الأب : هذا متأخر. الفحص جار.

الصديق: هل ذهبت إلى هذا الحد؟

الأب : لكنني لم أعد متأكدًا تمامًا أنني لستُ راغبًا بأن يكون مني.

زمن.

الصديق: بنجامين؟

الأب : نعم؟

الصديق: أودُّ حقًا لو نتبادل الأماكن.

الشهر الثامن

يتحرك الأب وهو نائم في حوض الاستحمام.

الأب (وهو يغمغم): أمي... أمي...

الصوت: هل اعتقدت أنه سيكون سهلاً؟

يظهر الأب.

الأب: بابا؟

الصوت: لم يكن يوماً سهلاً لأحد، تعلم ذلك.

يبحث الأب عن مصدر الصوت.

الأب: بابا، هذا أنت؟

الصوت: أنا، أهلي من قبلي، أهلهم من قبلهم، أهل أهلهم وكل الأهل في العالم قد مروا بهذا. لماذا تريد أن تتملّص حيث الجميع يقوم بواجبه؟

الأب: إذن لماذا لا يتحدث أحد بالموضوع؟

الصوت: لأن سعادة المستقبل سوف تمحي تعاسات اليوم.

الأب: لعلني لست في المستوى المطلوب، إذن، لعلّي الاستثناء الذي يُثبت القاعدة...

الصوت: بنجامين...

الأب: ماذا لو كنّا قد تسرّعنا كثيراً، بياتريس وأنا؟ ماذا لو كنّا خلطنا الحبّ بالحماس؟

الصوت: عندما التقيت بوالدتك، لم أكن أتخيّل نفسي متزوجاً، أنا أيضاً. ولا حتى أن يكون لديّ طفل. ونظراً إلى أنني لم أكن مهيباً لأتخاذ قرار، بادرتُ هي وتقدّمت بطلب يدي للزواج.

الأب : لطالما هي من بادرت بالأمر.

الصوت: عندما علم والدي أنني رفضت، سألني عن السبب. أخبرته أنني لم أكن متأكدًا من أنني أحبها. إذن أتعلم ما أجابني به: لا ترتبط في مثل هذا لأننا نحب، بل لأننا نريد أن نحب.

الأب : لأننا نريد أن نحب؟

الصوت: وإن كان الشك قد ساورنا كثيرًا، لم يتغير الهدف على الإطلاق: الرغبة في حب بعضنا، الرغبة في رؤيتك تكبر، الرغبة في أن نبقى متّحدين.

الأب : لهذا كنت دائماً تلغي نفسك؟

الصوت: ...

الأب : لا أريد أن أعيش مُختبئًا، أنا، لا أريد أن أعيش في ظلّ عائلتي، من دون آمال و من دون رغبات.

الصوت: ما تفعله اليوم ستحاسب عليه في المستقبل، ليس أمام زوجتك بل أمام طفلك. الماضي يُلاحق أولئك الذين يرفضون المستقبل.

الأب : حتى على فراش الموت، بابا، بقيت مُتحفظًا. لقد رحلت دون أن تُحدث ضجّة، كأنك لم تكن موجوداً قبل، وتأتي لتعرض نظريّاتك الكبيرة؟ تأتي لتلقّني درساً؟ في حين أنّه حتى هنا، الآن، لا تجرؤ على إظهار نفسك؟

الصوت: أنا... لعلّي لم أكن الأب الذي كنتُ أريده...

الأب : لا، لم تكن الأب الذي كنت أنا أريده.

الصوت: إذن احرص على النّجاح حيث فشلت أنا، بنجامين.

الأب: لكن كيف؟ كيف سأقوم بالأمر؟

الصوت: حارب. دافع عن حقوقك.

الأب: هل لديّ أي منها.

الصوت: أكثر مما تعتقد. كُن رجلاً بُنيّ.

الشهر التاسع

الأجداد يلعبون مع الطفل.

الأب: هذه منطقتي!

الجد (والد الأم): غولي غولي.

الجدّة (والدة الأم): غازو غازو.

الجدّة: آروو آروو.

الأب: هذه منطقتي، هل تسمعوني؟

الجد (والد الأم): فروم فروم.

الجدّة (والدة الأم): غلو غلو.

الجدّة: بووي بووي.

الأب: يكفي الآن، عودوا إلى منازلكم، أنا كبيرٌ بما يكفي لأهتّم بأسرتي!

الجد (والد الأم): هل سمعتم ذلك؟

الجددة (والدة الأم): أنتم أيضاً؟

الجددة (والدة الأم): هل قال «ماما»؟

الثلاثة (في الوقت نفسه): ماما! لقد قال «ماما»!

N

الأب: لتكتمل الأمور، كانت نتيجة الفحص إيجابية. ابني هو مني.

الطبيب النفسي: كان شيئاً متوقَّعاً.

الأب: لماذا نُنجب الأولاد، دكتور؟

الطبيب النفسي: حسناً... لتشارك.

الأب: نتشارك؟

الطبيب النفسي: أن نحبّ. أن نكون محبوبين. وأن نسلّم الرّاية، خاصّة...

الأب: ...

الطبيب النفسي: أنا متأكّد أنّه سينتهي بك الأمر بأن تُعجبَ بحياتك الجديدة

دون أن تحنّ لحياتك السابقة، سيد فيرتيل.

الأب: لكن هل سينتهي بي الأمر بأن أكون أباً جيّداً؟

الطبيب النفسي: كونك طرحت السؤال يعني أنّك في الاتجاه الصحيح.

الأب: إذن لماذا لا تزال بياتريس ترفض التحدّث إليّ؟

الطبيب النفسي: تستطيع أن تكتب لها؟

الأب : ماذا لو قبلت رؤيتها؟

الطبيب النفسي: الأم؟

الأب : ماذا لو أتينا سوية، كالنا؟

الطبيب النفسي: عذراً، لست أمارس علاج العلاقات الزوجية.

الأب : دكتور...

الطبيب النفسي: أعتذر...

الأب : دكتور...

الطبيب النفسي: لا تصرّ على ذلك.

O

الأم : إذن هكذا هو الأمر، يبدو أنك تصرّ على رؤيتي؟

الطبيب النفسي:...

الأب : أخبرها كم درجة أريد أن أحبّها، دكتور.

الأم : هل تعلم أنّه وصل به الأمر للشكّ بي أنّي أنجبت ابنه من رجل آخر؟

هل تعلم أنّه وصل به الأمر لجرّنا إلى طبيب مشرّع، الطفل وأنا؟

الأب : لا تبقى هكذا دون تصرّف، دكتور، أخبرها أنّي سأصبح في النهاية

أباً جيّداً.

الطبيب النفسي: فلنحرص على القيام بتحليل أولي، لو سمحتما؟ ما الذي

تلومان بعضكما عليه في الباطن؟

الأب : أنا ألومها أتمها تعيَّرت.

الأم : أنا ألومه أنه بقي كما هو.

الأب : حسناً. ها هي ذي نقطة انطلاق.

الأب : في السابق كانت رقيقة، تُراعي المشاعر، شهوانية، الآن هي باردة، بعيدة، معدنية.

الأم : في السابق كان غير ناضج، نرجسي، أناني، وبقي كما هو، دكتور. لم يتغيَّر شيء.

الأب : أن أكون أنانياً يعني أن أرغب بالابتعاد عن الحفاضات...

الأم : وأنا، ألا تعتقد أنني أرغب بالابتعاد عن الحفاضات، أنا؟

الأب : لماذا استقلت، إذن؟ لماذا تركت عملها في حين أننا كنا نستطيع وضع الصغير في روضة؟

الأم : لأنني كنت سأشعر بأنني أتخلَّى عنه، هذا هو السبب.

الأب : معه تَحْتَنِق، من دونه تشعُر بالذنب...

الأم : أنا أحارب حتى نصبح أسرة.

الأب : أنا أحارب لكي نبقى ثنائياً.

الطبيب النفسي: حسناً. هذه نقطة انطلاق جديدة.

زمن.

الأم : لقد ضحيتُ بكل شيء، وهذا الأمر ليس نابعاً من بهجة في قلبي.

الأب : أنا قد ضحيت بعطشي للحرية، أحلامي الواسعة.

الأم : صداقتي، حياتي الاجتماعية.

الأب : تطوري الثقافي.

الطبيب النفسي: والطفل؟

الأم : صحتي.

الأب : حياتي الجنسية.

الطبيب النفسي: والطفل، في المقابل، ألم يجلب لكما شيئاً؟

الأب : لا تغير الموضوع، أيها الطبيب. وكأن هذا لا يكفي، ها هو ذا

يجلب الأجداد!

الأم : لو تخيلت أنهم سيندمجون لهذه الدرجة.

الأب : أخيراً هاهي نقطة نحن متفقان عليها.

الطبيب النفسي: حسنٌ. ممتاز. فلنحاول أن نتعمق، إذن.

الأم: سيكون حديثاً طويلاً جداً لنحكيه، دكتور.

الأب : عليك أن تراهم...أجل، هذا هو الحل! فلنأت كلنا هنا!

الطبيب النفسي: آه لا، لن يحدث!

الأم : لم لا؟

الطبيب النفسي: لا أمارس العلاج النفسي للعائلات.

الأب والأم: دكتور...

الطبيب النفسي: لا، يكفي هذه المرّة، لا تصرّوا!

P

الجد (والد الأم): إذن هكذا، يبدو أنّك تُصرّ على رؤيتنا؟

الطبيب النفسي: ...

الأب: أخبرهم أنهم يتطفّلون على منطقتنا، دكتور.

الأم: أخبرهم أنّ منزلنا ليس ملكهم.

الجدّة: كيف؟

الجدّة (والدة الأم): ألا تقول شيئاً، يا عزيزي؟

الجد (والد الأم): دون أن أعطي الانطباع بأنني دفاعي، هل تمّ جرّنا إلى هنا

لسماع هذه الحماقات؟

الطبيب النفسي: فلنحرص على أن نقوم بتحليل أولي، لو سمحتم؟

الجدّة: يتوسّلان إلينا لنساعدهما، ويكون الأمر خطأنا؟

الجدّة (والدة الأم): في كلّ الأحوال لا أستطيع أن أتخيّل ما الذي يُمكن أن

يحصل من دوننا.

الأم: ماذا؟ ما الذي يمكن أن يحصل؟

الأب: فلتشرح ما الذي تعنيه، يا دكتور!

الطبيب النفسي: هدوء، نحن هنا لنحاول رؤية الأمور بشكل أوضح.

الجد (والد الأم): هذا الطفل بحاجة لمحيط مستقر.

الجدّة (والدة الأم) (مشدّدة): دون تعليق.

الجدّة: ومن دون الأكل المُعلّب.

الأم: هذا ما أعانيه طوال النّهار. ملاحظات على طريقتي في إطعامه، في إلباسه، في لمسّه...

الأب: أنا لا يحقّ لي حتّى إبداء الملاحظات.

الطبيب النفسي: حسناً. ها هي ذي نقطة انطلاق.

الجد (والد الأم): نقطة انطلاق؟

الجدّة (والدة الأم): إنّه يراكم الحقد، يا دكتور.

الجدّة: لا نربّي طفلاً في جوّ من المرارة والحقد.

الأم: دروس، مزيداً من الدروس.

الأب: علاوةً على ذلك فإنّها تأتي منهم.

الجد (والد الأم): ممّن إذن؟

الجدّة (والدة الأم): منك، يا دكتور؟

الطبيب النفسي: أوّمن أنه إن كانت مساهمتي المتواضعة ستسمح لكم ب...

الجدّة: بدايةً لقد كنّا أهلاً قبلهما.

الأب: عندما نرى النتيجة.

الجد (والد الأم): النتيجة؟

الجدة (والدة الأم): ما الذي يعنيه هذا؟

الجدة: فليشرح ما الذي يعنيه!

الأب: لو لم يتم سحقي ...

الأم: لو تم الاستماع لي ...

الجدة (والدة الأم): بياتريس... ألم أقدم أفضل ما لدي؟

الجدة: وأنت، بنجامين، هل يمكنك أن تلومني لأنني أحببتك كثيراً؟

الجد (والد الأم): كفى! في أي هاوية جماعية قد وقعنا جميعاً؟ ها نحن ذا

علينا أن نبرّر لماذا أنجبناهما؟ نعتذر لأننا درسناهما، يوماً بعد يوم،

رغم كل الصعاب؟ لكن ما هذا الجيل من الأطفال المدللين؟ في وقتنا،

لم نكن نملك نصف ما لديهم اليوم، وبالرغم من ذلك كنا نقوم بما

علينا القيام به ونتحمّل النتائج. وهما، عند ظهور أول مشكلة، يتّهمان

الأرض بأكملها، العالم وتاريخه؟ يلزمهما مذنبين؟ لسنا مسؤولين عن

فشلهما. لسنا مسؤولين عن عجزهما. وإن لم يعترفا بأخطائهما،

فليعترفا على الأقلّ بضعفهما.

زمن.

الأب بطريقة جدية ساخرة: هذا درس آخر.

الجد (والد الأم): ومن هذا الأب غير الكفاء الذي يسمح لنفسه بالسخرية
في حضوري؟

الأب: هذا الأب غير الكفاء قد طفح كيله من البَطْرِيرِكَ الذي يعطي
دروساً في الأخلاق.

يتواجه الأب مع الجد (والد الأم).

الطبيب النفسي: أيها السادة، فلنحرص على أن نكمل ويحترم بعضنا بعضاً
وسيتتهي كل شيء على ما يرام.

يتبادل الأب والجد (والد الأم) نظرات تهديديّة.

الجد (والد الأم): منذ فترة طويلة وأنا أجبر نفسي على اعتبارك رجلاً.

الأم: بابا...

الأب: وأنا منذ فترة طويلة وأنا أجبر نفسي على احترامك كأب.

الأم: بينجامين...

يوشك الأب والجد (والد الأم) على الشجار.

الجد (والد الأم): أيها المزعج الصغير.

الأب: أيها الأحمق العجوز.

الأم: توقفا، هذا يكفي، لقد اكتفيت!

زمن.

الأب: اسمعي، بياتريس...

الأم : لا، لقد سمعت ما فيه الكفاية. انتهى الأمر، بنجامين. أنا أستسلم.

الأب : ماذا؟ هذا مستحيل...

الأم : ارحل، اخرج من حياتي، أيها المريض!

الطبيب النفسي: أستطيع أن أكتب لكم وصفة عائلية، إن كنتم ترغبون بذلك؟

الشهر العاشر

يدور الأب حول المهده حاملًا سكين مطبخ.

الأب : لقد سرقت لي حريتي، رجولتي، كرامتي... والآن زوجتي؟ ماذا

تنوي أن تأخذ مني، بعد؟ أتريد أن تقضي علي؟ أن تُزيلني، أن

تمحوني، أن تلغي وجودي؟ لقد تعلمت أشياء في حياتي، لكن ما لم

أعرفه، أنه لكي تعطي حياة، عليك أن تُضحّي بأخرى. إذن هذا هو

الأمر؟ لكي تحضّل على مكانتك، عليّ أن أتخلّى عن مكاني؟ إذن

أقول لا! على أحد ما أن يتصرّف. ليس لديك أيّ جانب ملائكيّ،

ولست من أصحاب المعجزات، أنت مصيبة. إذن إن لم يكن هناك

من متّسع لكلينا في هذا العالم الدنيء، إن كان عليّ أن أتصرّف على

أنه لا وجود لشيء من بعدي، إن كان على الجنس البشري بأكمله أن

يختفي حتّى أتمكّن من الاستمتاع بوجودي، فليكن، أريد أن أكون

آخر رجل!

يلوّح الأب بسكينه.

Q

الطبيب النفسي: ما الذي تحكي لي عنه هنا، هذا تعيس! هل فعلتها؟ هل فعلت ذلك؟

الأب: لا، أنا... في لحظة... هو... هو قال بابا.

الطبيب النفسي: تلطّف بنا يارب!

الأب: بابا.

الطبيب النفسي: بالإضافة للـ «سومنورولاكس» والـ «النوروييمول»، ستأخذ «بياتوتال» كل أربع ساعات، وإن كانت الأعراض قويّة، ضاعف الجرعة.

الأب: إنّه منّي، هذا الطفل، لقد أعطيته الحياة.

الطبيب النفسي: ليس الصغير، أيّها الطبيب، ابني، دمي، لحم لحمي. يبدو أنّك لا تدرك ذلك؟

R

الأم: ما أحسن أن نبتعد عن البيت، عن الطفل، وخاصة عن الأب! منذ أن سرّحه والدي، يظلّ طوال النهار برفقتي.

الصديقة: إذن هل تراجعته عن تركه؟

الأم: انتهى بي الأمر بالقبول من شدّة ما توسّل إليّ للإبقاء عليه.

الصديقة: أودّ لو يتوسّل إليّ أحد ما، أنا أيضاً.

الأم : من جهة، أقول لنفسي إنني أستحقّ بداية جديدة، ومن جهة أخرى... فكرة أن أظلّ وحيدة.

الصديقة: لمن تقولين هذا الأمر!

الأم : أنتما كذلك لا تسير أموركما؟

الصديقة: الهاوية. من دون «الديدراماكس»، أعتقد أنّني سأرتكب ما لن أستطيع إصلاحه.

تتهدّ الأم بشكل واضح.

الصديقة: إي نعم.

الأم : لن نستطيع البقاء إلى الأبد مع رجلين لا يجعلانا سعيدتين؟

الصديقة: حتى لو كنا ما نزال نحبّها قليلاً؟

الأم : إنها مسألة تتعلّق بالسعادة. وليس الحبّ.

الصديقة: ألا زلت تحبّينه، أنت؟

الأم : هذه هي بالضبط مشكلتي.

الصديقة: مع أنّه.

الأم : علينا أن نحلّ المشكلة.

الصديقة: لكن من هنا علينا القيام بالخطوة الكبيرة.

الأم : من دون شبّاك أمان.

الصديقة: أنت لديك طفلك.

الأم : هذا صحيح. لكن ما كنت أريده، هو عائلة.

الشهر الحادي عشر

يُعطي الأب زجاجة الحليب للطفل، تمارس الأم الرياضة.

الأب : كم نحن في حال جيّدة! إنّ حياة العائلة لشيء جيّد. لقد نام ثماني

ساعات، في ليلته الأولى، يعني أنّه في حال جيّدة، هو كذلك.

أخبريني، أيتها الأم، ألا ترين أنّنا في حال جيّدة؟

الأم : بالحديث عن الأم، لقد اتّصلت والدتك للتو ولتُخبرك أنه لا فائدة

من أن تتّصل بها لتقديم الأعذار. اتّصلت ثلاث مرات اليوم.

الأب : والدتي؟

الأم : والدتك، نعم، أمك، أرملة أبيك.

الأب : آه نعم. أتمنى أن تكون في حال جيّدة، هي أيضاً.

الأم : أَلن تتّصل بها لتقول لها أن تتوقّف عن الاتّصال؟

الأب : من؟

الأم : هل تناولت الكحول؟

الأب : لا لماذا؟ علاجي الجديد، ربّما؟ أشعر أنّني في حال جيّدة، لن

تستطيعي معرفة كم أشعر أنّني في حال جيّدة.

الأم : أنا أيضاً، أخيراً استعدتُ الطاقة التي كانت لديّ قبل.

الأب : لقد تغير وضعي من محرجٍ إلى متحفّظ.

الأم : إذن لعلّي أعود إلى العمل.

الأب : هذا الطبيب عبقرّي.

الأم : لقد خسرت أربعة كيلو غرامات. كيلو غرامان بعد وأستعيد هيئتي السابقة.

لكن آخر الكيلوغرامات هي الأصعب لخسارتها. سأكون بحاجة إلى دعم. (توقف تمارينها وتوجه نحو الأب.) هل تريد أن تساعدني؟

الأب : على ماذا؟

الأم : لأخسر الكيلوغرامات الأخيرة.

الأب : أنا أجذك في حال جيّدة.

الأم : ما رأيك أن نستلقي؟

الأب : هل تشعرين بالنعاس؟

الأم : لديّ رغبة. (دون ردة فعل). لديّ رغبة، بنجامين، رغبة، كما في

السابق، هل تفهم؟

الأب : لم يُنه زجاجة الحليب.

الأم : لقد مرّ وقت طويل، نحن الاثنان، هيّا، ماذا...

الأب : بياتريس! لازال عليّ أن أغيّر حفاضه، أن أحّمه، أن أدهن جسمه

بالكريم، أن أغسل ثيابه...

الأم: لكن ما الذي يحصل لك؟ لما عرفتُك كنت شديد الرّجولة...

S

الطبيب النفسي: يارب تلطف بنا، أخيراً نحن نحرز تقدماً!

الأب: أوه، ليس هناك من داع لتهنتي. أنا فقط أتحمل مسؤولية دوري كأب. وكوفي الآن عاطلاً عن العمل، فيمكنني أن أكرّس له كلّ وقتي.

الطبيب النفسي: وامرأتك؟

الأب: لقد طلبت يدها للزواج.

الطبيب النفسي: حقاً؟ ما الذي أجابتك به؟

الأب: أنّها تريد أن تفكّر بالأمر.

الطبيب النفسي: ليس سلبياً بالكامل.

الأب: إنّهُ حتّى إيجابي للغاية. عندما تفكّر ستُعطيني الجواب.

الطبيب النفسي: ومن الناحية... الجنسية؟

الأب: كلّ هذا من الماضي، أيّها الطبيب. الجنس، الرغبة الجنسيّة، النّشوات المتكررة... لقد نضجتُ، أتعلم.

الطبيب النفسي: جيّد. لقد أخبرتك أن كل شيء سيصلح.

الأب: في حين أنّه، في الليلة الماضية، تبوّلتُ في السرير.

الطبيب النفسي: آه. «البياتوتال»، بلا شكّ.

الأب: لكن لا بأس. لا يهمني.

الطبيب النفسي: ممتاز. هذا سلوك مشجّع. ما يهمّ الآن هو أن تتعلّم من الماضي لكي تدعم المستقبل.

T

الصديق: واحد، اثنان، ثلاثة وأربعة!

الأم : لطف منك أن تقبل مساعدتي...

الصديق: متشنّجة، الساقان! واحد، اثنان!

الأم : حقاً لطفٌ منك...

الصديق: حيوية، الحركات! أكثر حيوية!

الأم : بدأت الأمور بالاشتعال هنا...

الصديق: إنها إشارة جيدة!

الشهر الثاني عشر

الكلّ مجتمع حول المهدي.

الجميع: عيد سعيد! عيد سعيد! عيد سعيد، ثيو بالدي! عيد سعيد!

الجدّة : ماهذه التّعاسة!

الجد (والد الأم): لقد نام قبل أن نُنهي الأغنية.

الجدّة (والدة الأم): وقبل أن يطفىء الشمعة.

الأب : كم نحن في حال جيّدة!

يتظاهر الجميع أنهم مسترخون لكنهم يتحاشون النظر إلى بعضهم بعضاً
ويعمّ الانزعاج.

الأم: كيفما كان الأمر، شكراً لحضوركم.

الجد (والد الأم): شكراً لدعوتك لنا.

الجدّة (والدة الأم): بعد ما حدث، كنت أعتقد أنك ستقدّم لنا الطفل لل... ..

الجد (والد الأم): لويز؟

الجدّة (والدة الأم): رودولف؟

الجد (والد الأم): التشكرات تكفي.

الجدّة من فوق المهد: طفل جدّته المسكين، لقد فرّقونا لمدة شهرين، ثمانية أسابيع،
سته وخمسون يوماً، لكنني لازلت حيّة، كن مطمئناً.

الأب: ألا تجدون أننا في حال جيّدة، كلنا مع بعض، كعائلة؟

صمت محرج.

الصديق: أنفتح زجاجة الشمبانيا؟

الأم: إنها فوّارة.

الصديقة: من دون كحول؟

الأب يأخذ الزجاجة: لا حقّاً، جميعنا مجتمعون حوله في يوم الاحتفال هذا،
عيناى ... مرعى مرعى مرعى... (يسحب سدّادة الزّجاجة التي

تقع بسلاسة على الأرض دون أن ترتدّ.) مرعى!

يملاً الكؤوس.

الصديق (وهو يشرب): تفضّلي؟

الأم : شمندر أحمر وحساء البذور.

الصديقة (وهي تشرب): آه نعم. إنّه خال من الكحول.

الأب : الحياة المديدة لسلالتنا.

صمت مُخرج.

الأم : عدا ذلك، هل أنتم بخير؟

الجدّة : عدا ماذا؟

الجد (والد الأم): نحن أيضاً، بخير.

الجدّة (والدة الأم): نعم نعم، لا تصدّقوا ذلك.

صمت مُخرج.

الصديق (مخاطباً الأب والأم): وأنتما؟

الصديقة: هل أنتما بخير؟

الأب : علينا أن نتمنّى، هذا مؤكّد. لو أنّ الجنّة موجودة، لا بدّ أنّها تُشبه هذا.

الأم : لقد استعدت هيئتي السابقة. وعدت إلى عملي. هذا يغيّر الحياة.

الجد (والد الأم): حقاً؟

الأم: ليس مئة بالمئة، خمسون بالمئة. بما يكفي لأعود نشيطة لكن لا يكفي

لأبقى أمّاً.

الجدة (والدة الأم): والطفل؟

الأب : في الروضة.

الجدة (تمتص انزعاجها): لقد وضعتم ملاكي في الروضة؟

الجد (والد الأم) (بنفس الحالة): في روضة حكوميّة؟

الجدة (والدة الأم) (تُجبر نفسها لتكون هادئة): هناك ناس جيّدون جداً يذهبون إلى الروضات الحكوميّة.

الجد (والد الأم) (بنفس الحالة): آه نعم... جيّد. جيّد جداً.

الجدة (والدة الأم) (بنفس الحالة): كما أنني حتّى لو كنت متقاعدّة، إنّه بلا شك أفضل في الروضة.

الأب : أنا أستطيع الاهتمام به كل الوقت، لكن بياتريس تقول إنّ الروضة جيّدة له.

الأم : يجب أن ينفصل هذا الطفل عن أمه، لن يكون هذا إلاّ لصالحه.

الجدة : حسناً. ممتاز. مسرورة أن أرى الجميع قد تفهّم الأمر، إذن.

الجد (والد الأم): مسرور، فعلاً.

الجدة (والدة الأم): فعلاً فعلاً.

الأم : في كلّ الأحوال، لكي أثبت لكم أن كلّ شيء يتحسّن كثيراً، نحن... نحن قرّرنا أن نتزوّج!

الجميع يتبادلون النظرات، حائرين.

الأب : حقاً؟

الصديق (بحزن): تهنئي.

الصديقة (بنفس الحالة): الزواج أيضاً، يغيّر الحياة.

الصديق: الآن أعتقد أننا سنترككم.

الجدّة (والدة الأم): لكن قبل أن تفرقوا، أيها الأولاد، عليكم أن تعلموا...

الجد (والد الأم): لويز...

الجدّة (والدة الأم): لا، هذه المرّة أنت من سيسكت وأنا من ستتكلّم!

الجد (والد الأم): ...

الجدّة (والدة الأم): قبل أن نترككم، ومهما فكرتما بنا، عليكم أن تعلموا أننا

نحبّكم وأننا هنا دائماً لأجلكم، هكذا، قلتها!

U

يحمل الأب الطفل النَّائم بين ذراعيه.

الأب: تك تك! إنه موعد الـ «بياتوتال»!

يأخذ الأب علبة الدواء الخاص به.

الصوت: ماذا تفعل؟

الأب: بابا؟

الصوت: ماذا تفعل، بنجامين؟

الأب: أبي أنا، ما هذه المفاجئة الجميلة! هل أنت بخير؟

الصوت: ما هذه الأدوية؟

الأب : هذا العلاج قد غير حياتي، طبيبي عبقرى.

الصوت: هل تنوي أن تبلىع هذا لوقت طويل؟

الأب : كنت تحت كل شيء، لو كنت تعلم...

الصوت: بنجامين! لقد اجتزت العاصفة، سيأتي الأفضل في المستقبل.

الأب : لن أسامح نفسي على ذلك أبداً...

الصوت: أليس على ابنك أن يسامحك؟

الأب : ...

الصوت: ألق بهذه الأدوية وواجه الحياة. هذا أفضل ما يمكنك أن تقدمه له.

الأب : هل تعتقد ذلك؟

الصوت: ألق بهذه الأدوية. ابذل ما لديك، تقدّم طويلاً في الاتجاه نفسه

وسوف تنجح حيث فشل الآخرون.

الأب : ليس الوقت متأخراً، إذن؟

الصوت: متأخر؟ (ينفجر الصوت بالضحك.) لكن بدأتوا، أيها

الأولاد! بدأتوا!

مُبتهجاً، يلقي الأب علبة الدواء.

V

الأم والصديق يتعانقان بقوة.

W

يضع الأب الطفل في المهد.

الأب : نم، يا طفلي. بينما ماما تعمل، بابا يجرسك. لقد أقلعتُ عن كلِّ شيء، أتعلم. الأدوية، العذاب، الـ«أنا». كلُّ هذا قد انتهى، إنَّه خلفنا، انتهى. وإن كانت يداي ترتجفان، ليس خوفاً منِّي لرؤيتك تكبر، إنه فقط تأثير الفطام. لكن الشيء الوحيد الذي يهِّم، أترى، أن هذه الأشهر الصَّعبة قد جعلتنا ننضح، أمك وأنا. نريد أن نحبَّ بعضنا، من الآن فصاعداً. نريد أن نربي معاً. نريد أن نكون عائلة. دون أن نضِلَّ الهدف بعد الآن. أنت.

X

الصديق: بياتريس! أنت جوهرة، معجزة، هبة حقيقية من السماء!
الأم : أوف! لقد كنت قد نسيت أن السَّعادة يمكن أن تكون بهذه البساطة.

الصديقة: لقد تركني!

الأب : ماذا؟

الصديقة: هذا الحقير قد تركني!

الأب : لا...

الصديقة: نعم.

الصديق: كيف استطاع إهمالك إلى هذا الحد!

الأم : وإن أخبرتك أنها المرة الأولى التي أخونه فيها؟

الصديق: لا يدرك بينجامين الحظّ الذي لديه.

الأم : معه كلّ شيء أصبح جدّ ثقيل، جدّ صعب، جدّ معقد.

الصديق: لا يستحقّك.

الأم : بدأت أشكّ في ذلك، أيضاً.

الصديق: إذن لماذا تتزوّجين منه؟

الأم : عندما تقدّم بطلبي للزّواج، كنت مسرورة. كما أنّني أردت أن أثبت

لأهلي أنّني قادرة على إنجاز حياتي الأسريّة.

الصديقة: تمرّ السنوات، يولد الأطفال، وأنا أجد نفسي وحيدة.

الأب : لربّما الأمر ليس نهائياً؟ لعلّكما بحاجة لترتاح قليلاً؟

الصديقة: لا، لقد أصرّينا قبل كثيراً، هو وأنا.

الأب : هل تريدان الـ «بياتوتال»؟ بقي لي بعض العُلب، كنت سأتلخّص

منها...

الصديقة: احضني، بينجامين. أنا بحاجة لرجل قويّ يعرف كيف يحضني

بين ذراعيه.

الأب : لكن...

الصديق: غير معقول. إنّهُ حقّاً غير معقول. يمكن أن يشبه هذا مغامرة

مساويّة، لكن مشاعري تجاهك قد صارت قويّة جدّاً.

الأم : ألا تعتقد أن الوضع معقد ما يكفي ما هو؟

الصديق: ربّما، لكن أن أراكما ترهنانا مستقبلكما، الصغير وأنتِ، أن تفتقدا للسعادة، هذا يمزق قلبي. أنتما تستحقّان أن تكونا سعيدين، أنتما الاثنتين.

الأم : من الأفضل أن أغادر.

الصديق: بياتريس...

الأم : لا تصرّ، أرجوك.

الصديق: حسناً. كما تريدان. لكن في حال غيرت رأيك...

الصديقة: كنت متأكّدة أنني أستطيع الاعتماد عليك.

الأب : اسمعي، أعتقد أنّه ليس علينا...

الصديقة: لم لا؟ ليس عليّ أن أخفي الأمر، الآن، أنت رجل حياتي، بنجامين، أفعّل أيّ شيء من أجلك.

الأب : ماذا؟

الصديقة: قل لي أنّك لم تفكّر في ذلك أبداً.

الأب : فكّرت، فكّرت...

الصديقة: قل لي إنّه لم يخطر ببالك أبداً.

الأب : البال، البال...

الصديقة: أنت أيضاً لديك مشاعر تجاهي، كنت أعلم ذلك، لطالما علمت بذلك.

الأب : لكن أنا... لديّ أسرة، أنا.

الصديقة: بنجامين، أعرف مسيرتكما، بياتريس حكمت لي عن كل شيء، إذن لا تصوّر لي أنّك نموذج رب الأسرة.

الأب : أعمل على ذلك، في واقع الأمر.

الصديقة: والسعادة، أين هي في كل هذا؟ أليس من حقك. أستطيع أن أجعلك سعيداً، أنا، اسمح لي أن أجعلك الأسعد بين الرجال.

الأب : من الأفضل أن تغادري.

الصديقة: بنجامين...

الأب : لا تصرّي، أرجوك.

الصديقة: حسناً. كما تريد. لكن في حال غيرت رأيك...

الشهر الثالث عشر

الأم : علينا أن نتحدّث.

الأب : ...

الأم : لقد جرّبنا كل شيء، نحن الاثنان. أعني، لا نستطيع أن نلوم بعضنا أنّنا لم نجرب كل شيء؟ هذا لا يعني أنّنا لم نعش لحظات رائعة، ولا أن مشاعرنا لم تكن صادقة في الوقت الذي كنا نعيشها فيه، لكن في العمق، بعد أن جرّبنا كل شيء، علينا أن نعترف بالواقع: نحن لا ننجح في أن نكون سعداء، مع بعضنا.

الأب : بياتريس... هل هذا يعني أنّك لم تعودي تريدين الزواج بي؟ أنّك لم تعودي تؤمنين بمستقبلنا؟ أنّنا لن نكون أبداً أسرة، أسرة حقيقية؟

الأم : أعلم أنّ هذا يبدو صعباً للفهم...

الأب : لا، لا، في الواقع... لعلّك على حق.

الأم : حقاً؟

الأب : إن كان هذا هو الحال... لعلّه من الأفضل أن ننصّل قبل أن نكره بعضنا؟

الأم : غير معقول. إنّهُ حقاً غير معقول. لو كنت تخيّلت أنّنا ستمكّن من الحديث بهذا الهدوء، كراشدين مسؤولين.

الأب : إن لم نُنجح علاقتنا، فعلى الأقلّ نعالج انفصالنا، أليس كذلك؟

الأم : كما أمّها لو كانت ناجحة، فاشلة، ما الذي سيعنيه ذلك؟ أنا كما أنا، أنت كما أنت، إنّهُ جيد هكذا.

الأب : أنت تخطفين الكلام منّي.

الأم : غير معقول. إنّهُ حقاً غير معقول.

زمن.

الأب : ماذا ستفعلين، أنت؟

الأم : أوه، أنا بحاجة للابتعاد قليلاً. أن...

الأب : ما هو مؤكّد، أن انفصلاً، حتى لو كان ناجحاً، بحاجة للتّعامل معه.

الأم : الأهمّ، هو أن نخرج بشيء منه.

الأب : ووصاية الطفل؟

الأم : الوصاية؟

الأب : طفلنا، ما الذي سنفعله بشأن الوصاية؟

الأم : آه نعم، الوصاية. أنت تأخذني على حين غرّة، هنا.

الأب : نستطيع أن نتشارك؟

الأم : مناصفة؟

الأب : أنوي أن أتحمّل حصتي من المسؤولية.

الأم : مبدئياً، هكذا، من دون تفكير، يبدو الأمر معقولاً.

الأب : في كلّ الأحوال سيكون لدينا الفرصة للحديث مجدداً بالأمر، بما أنّنا

نفصل كأصدقاء جيّدين، كراشدين مسؤولين.

الأم : وأنت، ما الذي ستفعله؟

الأب : أوه، أنا أيضاً بحاجة للابتعاد قليلاً. وخاصة أنني سأسعى لتقبّل الوضع.

Y

الأب والصديقة يتعانقان بقوة.

Z

الأب : لا تسيء الفهم، أيها الطبيب، لكنني أعتقد أنني شفيت.

الطبيب النفسي: لقد أخبرتك أنّ كلّ شيء سينتهي على ما يرام.

الأب : إنّها السعادة الكبرى!

الطبيب النفسي: لقد دفنت أخيراً فأس الحرب؟

الأب : مع بياتريس؟ لا، في النهاية نعم، لكن بات من الماضي، هذا الموضوع، لقد انفصلنا الأسبوع الماضي. كما أننا متحابّان، الآن، أكثر ممّا كان عليه الأمر عندما كنّا متحابين.

الطبيب النفسي: إذن...السعادة الكبرى؟

الأب : صديقة للعائلة.

الطبيب النفسي: صديقة للعائلة؟

الأب : لقد انتهى بها الأمر وحيدة، انتهى بي الأمر وحيداً، وها نحن نقع في الحبّ! الطبيعة لا تصدّق، بعد كلّ شيء!

الطبيب النفسي: سيد فيرتيل، لا أريد كبح حماسك، لكن ربّما عليك أن تأخذ الوقت للتّفكير؟

الأب : لقد فكرت في كلّ شيء، أيّها الطبيب، كما أنّ كلّ شيء مختلف هذه المرّة، أنا أحبّها: إنّها جوهرة، إنّها معجزة، هبة حقيقية من السماء!

الطبيب: ...

الأب : إذن بما أنّ الأمر نجح بفضلك بطريقة ما، أردت أن تكون أوّل من يعلم: هذا المساء عيد ميلادها. وقرّرت أن أقدم لها أجمل هديّة بإمكان رجل أن يقدّمها لامرأة.

الطبيب النفسي: ...

الأب : ألن تُهنّئني؟

خاتمة

المهد كالعرش في وسط المنصة.

المرأتان حاملان، الرجلان يُداعبان بطنيهما.

الأب (مخاطباً الصديقة): أحبّك.

الأم (مخاطبة الصديق): أنا أيضاً أحبّك.

الصديقة (مخاطبة الأب): نحن نشكّل أسرة جميلة للغاية، أليس صحيحاً؟

الصديق (مخاطباً الأم): ما هو مؤكّد، أنّني سأحبُّ ابنك كأنّه ابننا.

الأب (مخاطباً الصديقة): ماذا تفضّلين له أخاً صغيراً أم أختاً صغيرة؟

الأم (مخاطبة الصديق): لا يهمّ. ما يهمّ، ألا يكون ابناً وحيداً.

شادي حمود

- مترجم سوري.

- هذه المسرحية هي باكورة أعماله.

الكاتب:

- أوليفيه كياكياري كاتب فرنسي معاصر من أصل إيطالي.

- ولد في جنيف عام ١٩٦٩.

- كتب عشرات المسرحيات المعاصرة الدرامية والكوميديّة.

- عُرضت جُلّ مسرحياته في جنيف السويسريّة التي أخرجها كلود ستارانز.

- لمع نجمه وذاع صيته في عالم المسرح المعاصر من خلال مسرحية

«الأم والطفل بخير» الذي كتبها في عام ٢٠٠٦.

الطبعة الأولى / ٢٠١٨ م

كلمة الغلاف

«الأم والطفل بخير» نالت شهرة كبيرة على الصعيدين المهني والاجتماعي لبنيتها الفنية وجرأتها في طرح المسائل الاجتماعية المثيرة للجدل بلغة محكمة توصل الرسالة إلى الجميع. حياة الناس اليومية ومشاعرهم وحاجاتهم المادية والروحية وبناء الأسرة هي موضوع هذا العمل الذي نقدمه إلى القارئ والذي نأمل أن نشاهده على خشبة مسارحنا قريباً.